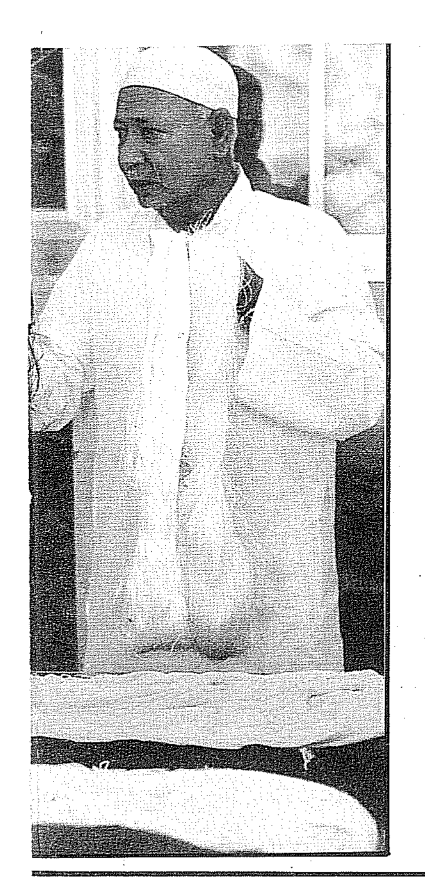
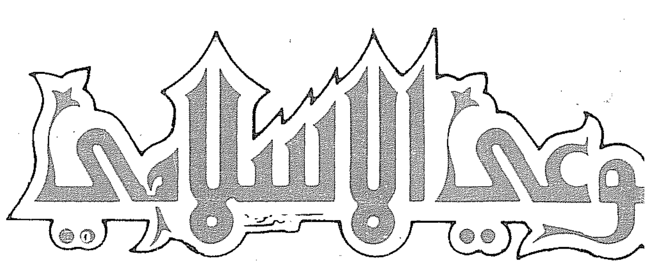


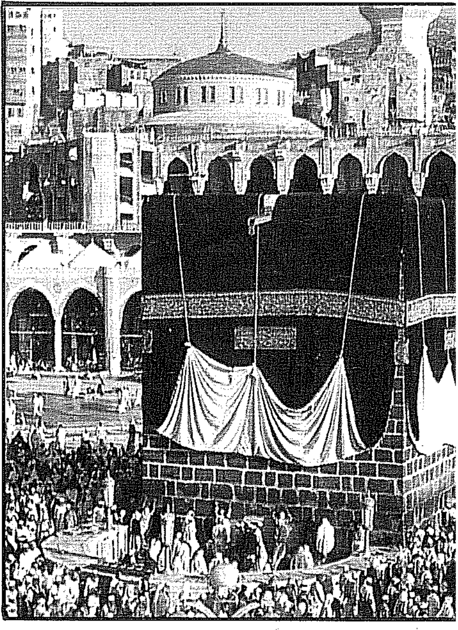


لامية ثقافية شهرية

٢٨ ـ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ/ يوليو (تموز) ١٩٨٨م

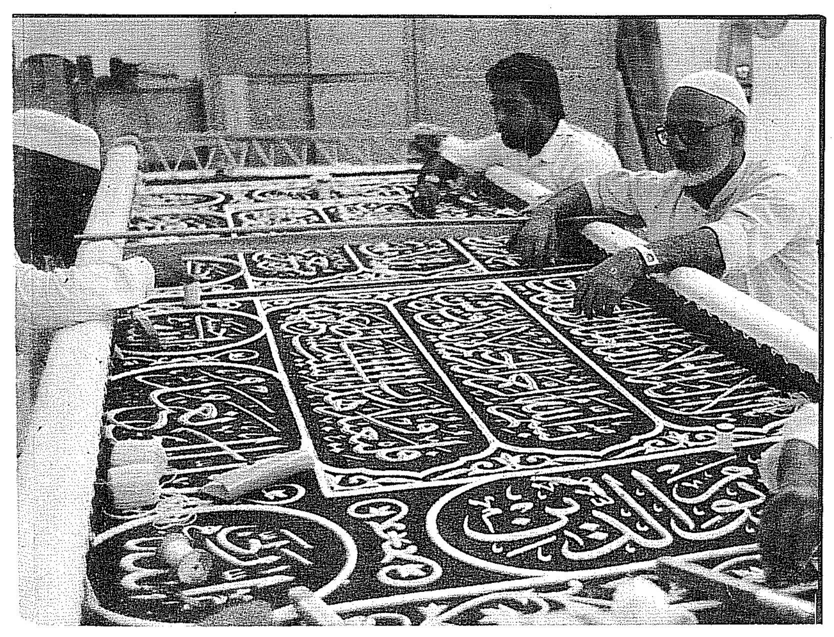
كسوة الكعبة

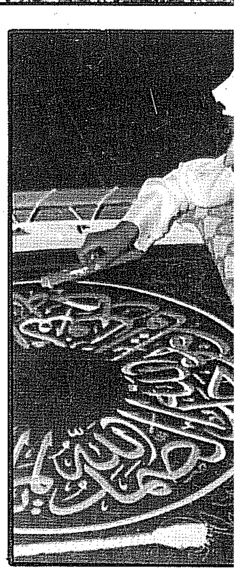
ص ٧٦



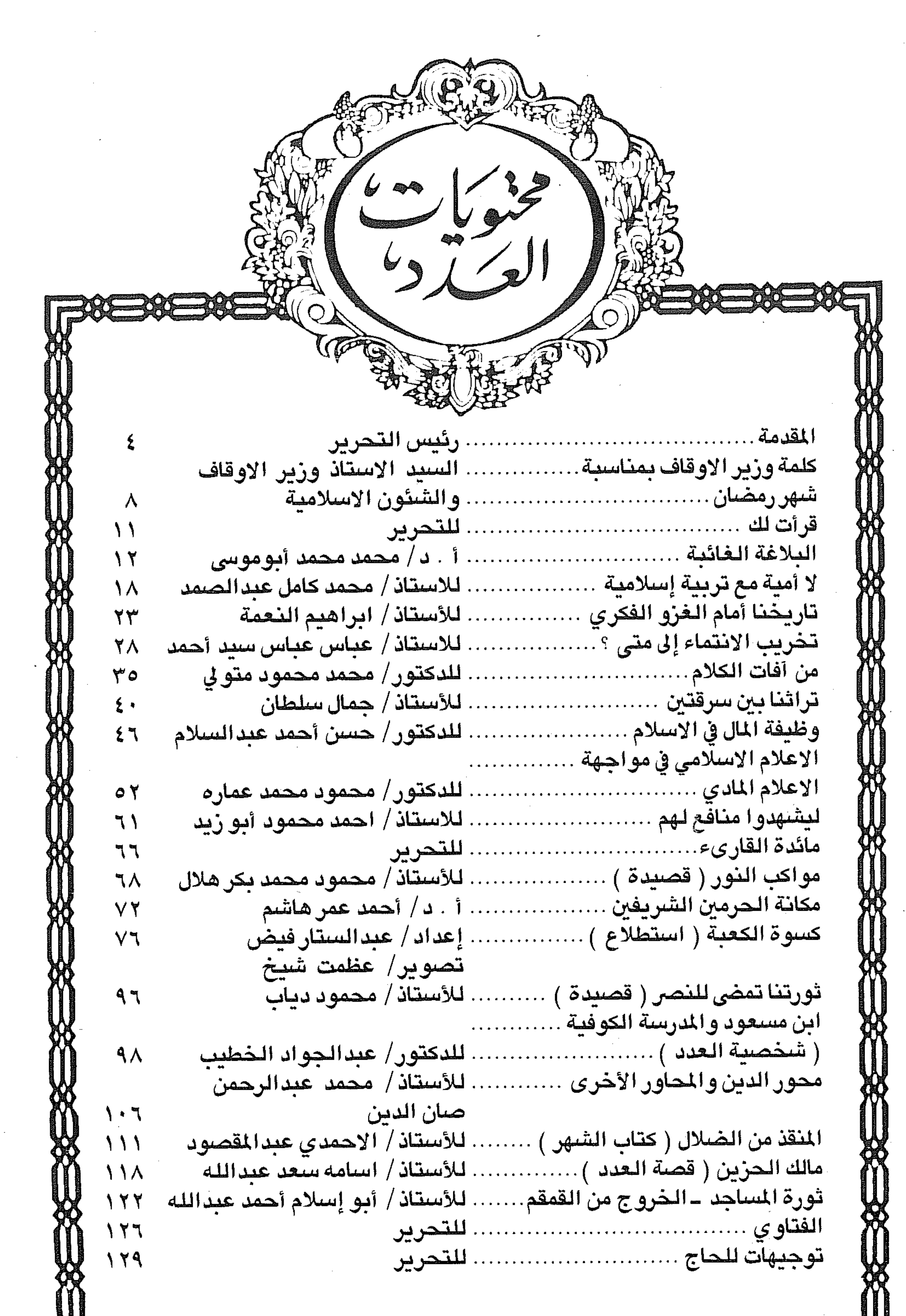
في هذا العدد:

- الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي ص ٥٦
- مكانة الحرمين الشريفين ص ٧٢





ـع العدد



الموضوع	الكاتب	الصفحة
المقدمة	رئيس التحرير	٤
كلمة وزير الاوقاف بمناسبة .... شهر رمضان	السيد الاستاذ وزير الاوقاف والشئون الاسلامية	٨
قرأت لك	للتحرير	١١
البلاغة الغائبة	أ . د/ محمد محمد أبوموسى	١٢
لا أمية مع تربية إسلامية	للاستاذ/ محمد كامل عبدالصمد	١٨
تاريخنا أمام الغزو الفكري	للأستاذ/ ابراهيم النعمة	٢٣
تخريب الانتماء إلى متى ؟	للاستاذ/ عباس عباس سيد أحمد	٢٨
من آفات الكلام	للدكتور/ محمد محمود متولي	٣٥
تراثنا بين سرقتين	للأستاذ/ جمال سلطان	٤٠
وظيفة المال في الاسلام	للدكتور/ حسن أحمد عبدالسلام	٤٦
الاعلام الاسلامي في مواجهة .... الاعلام المادي	للدكتور/ محمود محمد عماره	٥٢
ليشهدوا منافع لهم	للاستاذ/ احمد محمود أبو زيد	٦١
مائدة القارىء	للتحرير	٦٦
مواكب النور (قصيدة)	للأستاذ/ محمود محمد بكر هلال	٦٨
مكانة الحرمين الشريفين	أ . د/ أحمد عمر هاشم	٧٢
كسوة الكعبة (استطلاع)	إعداد/ عبدالستار فيض تصوير/ عظمت شيخ	٧٦
ثورتنا تمضى للنصر (قصيدة)	للأستاذ/ محمود دياب	٩٦
ابن مسعود و المدرسة الكوفية .... (شخصية العدد)	للدكتور/ عبدالجواد الخطيب	٩٨
محور الدين و المحاور الأخرى	للأستاذ/ محمد عبدالرحمن صان الدين	١٠٦
المنقذ من الضلال (كتاب الشهر)	للأستاذ/ الاحمدي عبدالمقصود	١١١
مالك الحزين (قصة العدد)	للأستاذ/ اسامه سعد عبدالله	١١٨
ثورة المساجد ـ الخروج من القمقم	للأستاذ/ أبو إسلام أحمد عبدالله	١٢٢
الفتاوي	للتحرير	١٢٦
توجيهات للحاج	للتحرير	١٢٩



العدد ٢٨٧ ـ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ/ يوليو (تموز) ١٩٨٨م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

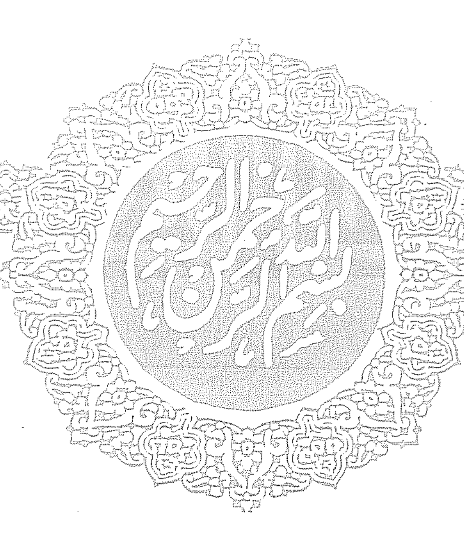
الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

الكويت	٢٠٠ فلسا	تونس	٢٥٠ مليم
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما	الاردن	٢٠٠ فلس
السودان	١٥٠ مليما	اليمن الشمالي	ريالان
السعودية	ريالان	قطر	٣ ريالات
دولة الامارات العربية	٣ دراهم	سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
البحرين	٢٠٠ فلس	المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا



كلمة الوعي

رب اجعل هذا البلد آمنا

كم في مناسك الحج من وقفات ، تسكب فيها العبرات ، وتثار ذكريات خلدها التاريخ وباركها الاسلام ، في موسم الحج تشد الرحال إلى حرم الله الآمن ، إلى مهبط الوحي ومنزل القرآن ؛ إلى أول بيت وضع للناس ، هناك لا ينقطع الهدير بالضراعة والدعاء ساعة من ليل أو نهار بدءا بالإحرام وانتهاء بطواف الوداع ، وبالإحرام يحس المحرم بالفرحة الغامرة وهو يجد نفسه في عداد المجيبين لدعوة ابراهيم عليه السلام ، وبملابس الإحرام يدخل عالماً جديدا كما يدخل الحياة كل مولود ؛ بهذا اللباس يترك صنعة الدنيا وزينة الحياة ، وبه يستشعر معنى المساواة ، ويتجدد إيمانه بأن الناس سواسية أمام رب الملك والنعمة ، لا تفاضل بينهم بلون أو حسب أو مال ،ما دام ميزان التفاضل هو التقوى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ثم تأتى التلبية تستجيب بها أمة الدعوة للنداء الإبراهيمي الذي انطلق في جوف الزمن وسيبقى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، بهذا النشيد الإلهي ، يعبر المسلمون عن

وضعهم أمام جلال الله وعظمته وسلطانه ، ويؤكدون إخلاص عبوديتهم له سبحانه ، إذعانا بأنه رب الملك والنعمة ، وإيمانا بأنه واحد لا شريك له ، وأنه رب العزة التي لا تذل وربّ القوة التي لا تقهر، ورب النعمةالتي لا تحصى، وبهذه الاستجابة يسير المؤمن على منهج ربه ، لا يتوجه إلا له ولا يخاف الا منه ، بها يتحرر من سلطان المادة ، فلا يذل لمخلوق وإن مَلَكَ خزائن الارض ، بل يعيش عزيز النفس مرفوع الرأس عالي الهمة ، لا يرهب ذا حسب أوجاه ، ولا ينافق غنيا لغناه ، في جو التلبية يتضح الطريق السوي إلى الايمان القوي والتوحيد الصافي ، وهناك وقفة أخرى لها في النفوس أبلغ الدلالات وأطيب الذكريات ، وذلك عند دخول مكة المكرمة ، حرم الله الآمن ، يستحضر المسلمون بكل إكبار عظمة هذا البلد الأمين ، وقد ولد بها خاتم الأنبياء ، وعلى قمة جبالها اتصلت الارض بالسماء ، يوم قال جبريل الأمين لحبيب الله ومصطفاه ، «اقرأ باسم ربك الذي خلق»..

وفي هذه الرحاب المباركة ولدت أعظم رسالة تشرّف بها الوجود ، وأمام بيت الله العتيق ، يذكر المسلمون أنه أول بيت وضع للناس ، أقام قواعده إبراهيم وعاونه اسماعيل عليهما السلام وصدق الله العظيم « **وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** » البقرة/ ١٢٧ . وقد برهن كثير من العلماء على أن العهد بمكة وحرمة بيتها العتيق أمر سابق على مجيء ابراهيم بولده اسماعيل وزوجه هاجر وإسكانهما عند بيت الله المحرّم ، وذلك يستفاد من دعائه « **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ..** » ابراهيم/٣٧ هذه البقعة المباركة جعلها الله منذ القدم حرما آمنا وبيتا خالصا مطهرا للطائفين والعاكفين والركع السجود ، فيه يطمئن الخائف ، وعنده يصان الدم المهدر ، ورعى الناس للبيت حرمته في الجاهلية والاسلام ، وعلى مدى التاريخ الطويل تولى الله حراسته وحماه من كيد المعتدين ، وبذلك استقر في ضمير الناس ان للبيت رَبًّا يحميه ،

صرح بذلك عبدالمطلب لقائد الجيوش الغازية التي زحفت على البيت بِرَجْلِها وأفيالها بقيادة أبرهة الحبشي الذي أعلن بكل استخفاف ، أنه يريد الكعبة ، محور حياة قريش ومركز حجيج العرب، وأنه سيهدمها **بأفياله** وجنـوده حتى يسوي الارض بأنقاضها ليصرف الحجيج عن الكعبة إلى كنيسة هائلة بناها لهم في اليمن ، وهنا جعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، كما تحدثت بذلك سورة الفيل ، وبقي البيت ثابت الأركان **عظيم** الشأن ، تهفو إليه النفوس ، وتتوجه القلوب ، وتشد إليه الرحال من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، في جو من الطمأنينة والسكينة والأمان ، وقد آمنوا وأيقنوا أن خط الطغيان خاسر ، وأنه على الباغي تدور الدوائر ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وكانت العرب تعتبر هزيمة الجيش المغرور تاريخا يؤرخون به فيقولون : قبل عام الفيل أو بعده بكذا - نعم بقيت الكعبة قبلة للناس يحسون بجمال الصفاء في **رحابها** ، ويستشعرون قدسية الدوران حولها ، يتجهون إليها في كل صلاة أينما كانوا وحيثما حلوا أو ارتحلوا ، نعم بقي البيت وسيبقى بإذن الله تعالى معمورا بالصلاة والدعاء والطواف ، محفوظا بحفظ الله وعنايته ، خالصا لعبادة الناس لله جيلا بعد جيل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، يأمن فيه الانسان وغير الانسان فلا يهاج طيره ، ولا يستحل صيده ، ولا يقطع شجره ، وصدق الله العظيم « **ومن دخله كان آمنا** » آل عمران/ ٩٧ . هذا ولم يغب عن بال رسول صلى الله عليه وسلم مفهوم الأمن عند بيت الله المحرّم ، لذا حرص ألا تراق قطرة دم يوم فتح مكة ، ولذا تعمد مباغتة قريش بجيش لا قبل لهم به ليفوت عليهم فرصة اللقاء في حرب دامية ، ودخل الجيش الفاتح من كل أطراف مكة من غير صراع ودون سفك دماء ، **عدا** مناوشات لا تذكر ، بل عدد منافذ **الأمن** وروافده بقوله : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو

آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ولما قال سعد بن عبادة زعيم الأوس . اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا ، وبلغت هذه الكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا - وأمر أن ينزع اللواء من يد سعد ويدفع إلى ابنه مخافة صولة سعد في الناس .

وفي يوم الفتح المبين ، أطاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأصنام المنصوبة حول الكعبة وهو يملأ سمع الدنيا بقوله : لا إله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم أصدر عفوا اطمأن به الخائفون بقوله : لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء ، مما جعل فضالة يقول لإمرأة تورط معها في الجاهلية وهي تدعوه للحديث معها جعل يقول :

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا
يأبى عليك الله والاسلام
لوما رأيت محمدا وقبيله
بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا
والشرك يغشى وجهه الإظلام

لعل الحجاج والمعتمرين وكل المسلمين في أطراف الارض يلتزمون بالأمن الذي قرره القرآن ويسيرون على منهج رسول الله منهج التآخي والحب في ظل الأمن والأمان ، ومن استباح العبث في حرم الله ، استحق الوعيد القرآني « **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** » الحج/ ٢٥ . وإلى لقاء مع مناسك الحج في العدد القادم إن شاء الله .

رئيس التحرير
حسن مناع

خالد الجسار :

١٦ رسالة من سلسلة التراث الاسلامي ومعونات مالية

تحدث معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ / خالد الجسار في مقابلة أجرتها معه وكالة الانباء الكويتية « كونا » خلال شهر رمضان ١٤٠٨ هـ .. عن قضايا الساعة . وعن أنشطة الوزارة خلال الشهر المبارك .

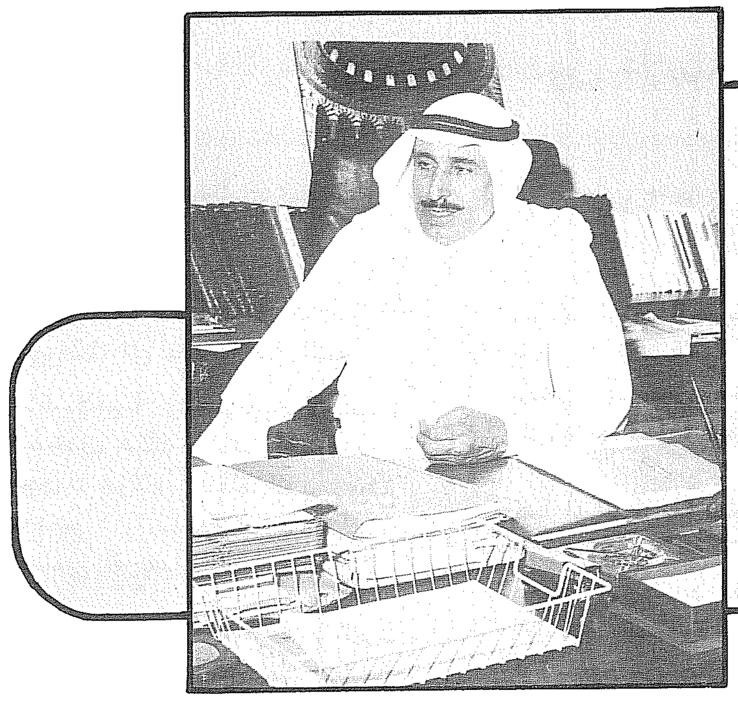
فكان مما قال : إن العالم العربي والاسلامي يحس بآلام مريرة وبارهاصات شديدة لما يلاقيه اخواننا الفلسطينيون في الاراضي المحتلة من ظلم عدو غاصب لا يرحم ولا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا .

واكد الوزير الجسار على اهمية الانتفاضة في الاراضي المحتلة التي بدأت منذ الثامن من ديسمبر الماضي لمواجهة هؤلاء المغتصبين باضعف الاسلحة « الحجارة » مقدمين المئات من الشهداء والجرحي في سبيل الله .

واهاب الوزير الجسار بالعالم العربي والاسلامي مجددا ان يمدوا يد العون ليكونوا سندا لاخوانهم الفلسطينيين هناك لدفع ما وقع عليهم من ظلم وعدوان سائلا الله ان يأخذ بايديهم وينصرهم من عنده ليرفع عنهم هذا البلاء مشيرا الى قرب حلول هذا اليوم المشهود .

واشاد بانتصار العراق في تحرير شبه جزيرة الفاو وطرد المعتدين منها داعيا الله القادر على كل شيء ان ينهي هذه الحرب التي طال امدها بين البلدين المسلمين الشقيقة العراق والجارة المسلمة ايران .

واضاف الوزير الجسار ان من بركات هذا الشهر الفضيل ما تفضل به الله من كرمه وجوده بانقاذ ركاب الطائرة الكويتية الجابرية وعودتهم الى ارض الوطن سالمين داعيا الله الذي اختار شهيدين بجواره ان يسكنهم فردوسه الاعلى وان ينزل على اهلهم وذويهم الرحمة والسكينة .



الانتفاضة الفلسطينية ومئات الجرحى والشهداء!

واشار الى ان العشر الاواخر من رمضان هي ايام مباركة حيث بدأ فيها نزول القرآن الكريم معربا عن امله ان يجتهد العبد فيها اسوة بالرسول الكريم لانه لا يدري انه سيدرك شهر رمضان المقبل او تدركه المنية سائلا الله ان يجعل هذا الشهر مباركا علينا وعلى المسلمين عامة وان يعيد علينا اوضاع المسلمين وهي افضل مما هي عليه الان .

واستكمل الوزير الجسار حديثه موضحا ان شهر الصوم يتميز عن باقي اشهر العام فالوزارة لها انشطة متعددة في داخل الكويت وخارجها كاستقدام عدد من خيرة العلماء والفقهاء لالقاء المحاضرات الدينية في المساجد وعبر الوسائل الاعلامية الاخرى كالتلفزيون والاذاعة .

أكثر من ٢٠٠ داعية الى الدول الاسلامية

بيت الزكاة وكفالة ١٣ الفا و ٥٦٠ يتيما

واشار الى أن الوزارة ترسل دعاة ووعاظا الى عدد من الدول الاسلامية والعربية لارشاد المسلمين هناك مؤكدا أهمية دور وجهود هؤلاء الدعاة الذين يبلغ عددهم ٢٠٠ داعية عدا دعاة لجنة مسلمي آفريقيا .

واضاف ان الوزارة طبعت ونشرت ١٦ رسالة اسلامية من سلسلة التراث الاسلامي تشتمل على العديد من الموضوعات الدينية والفقهية فضلا عن تقديم معونات مالية تقدم على مدار العام لجهات اسلامية متعددة في جميع أنحاء العالم الاسلامي موضحا أن الوزارة تدرس الطلبات المقدمة التي تصل الى ستة طلبات لتلبيتها حسب استطاعتها ومقدرتها مطبقين قول الرسول الكريم ـ المسلم اخو المسلم.

واشاد الوزير الجسار بدور الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية التي تعمل لتحسس مشاكل العالم الاسلامي لحلها مستقبلا .

كما اشاد ايضا بدور بيت الزكاة الذي يقوم بكفالة ١٣ الفا و ٥٦٠ يتيما في جميع أنحاء العالم الاسلامي بصورة كاملة مع مراقبة أوضاعهم من خلال تقارير دورية ترد الى بيت الزكاة عن كل يتيم .

ونوه الى ان بيت الزكاة الكويتي أصبح مثلا يحتذى به في القارة الاسيوية والافريقية على حد سواء بسبب خدماته الجليلة لخدمة قضايانا الاسلامية والانسانية مما جعل بعض الدول الاسلامية التي تعتزم أقامة بيوت زكاة فيها ان تطلب من بيت الزكاة الكويتي اللوائح والانظمة التي يتبعها لتحقيق رسالته لتطبيقها هناك .

واعرب الوزير الجسار في ختام حديثه ان الكويت لا تدخر وسعا لكل ما هو فيه خير للعالم العربي والاسلامي وقضايانا المصيرية حسب توجيهات وارشادات صاحب السمو الامير وولي عهده .

الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية

قرأت لك

شريعتنا ورعاية المصالح

يقول الشيخ محمد الخضر حسين في رده على سؤال حول صلاحية الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان :

معروف في علم القضاء أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح ، ومصالح العصور تختلف اختلافاً كثيراً ، وعلى هذا الأصل تقوم الشريعة الاسلامية، وبهذا يمكنها أن تساير كل عصر ، وتحفظ مصالح كل جيل ، ذلك أن الاسلام دلّ على بعض الأحكام في أصول كلية ليستنبط منها المجتهدون أحكام الوقائع على حسب مقتضيات أحوال الأزمنة والمواطن .

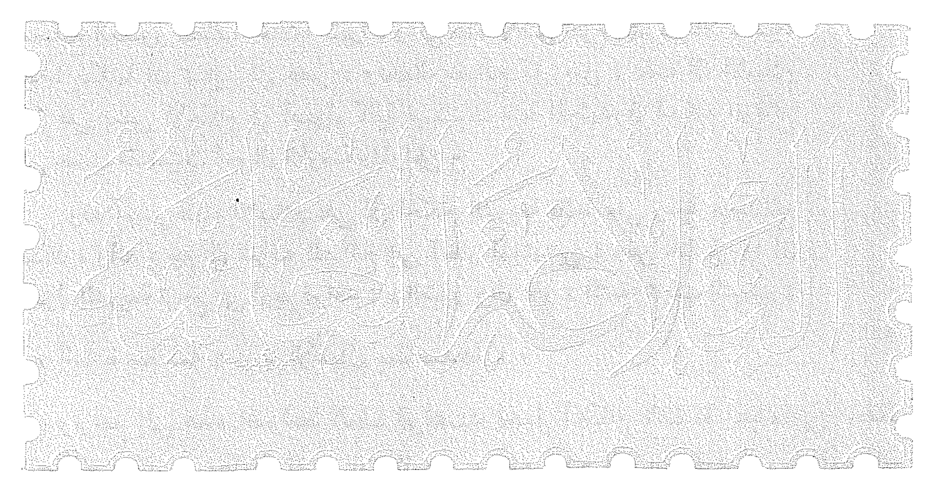
وقد أجمع علماء الاسلام على أن أحكام الشريعة قائمة على رعاية مصالح العباد ، وأنه يرجع في تعرف المصالح إلى أنظار المجتهدين ، ومن هنا قرروا أن أصول الشريعة ترجع إلى أربع قواعد : « الضرر يزال » و « المشقة تجلب التيسير » و « العادة محكمة » و « الأعمال بمقاصدها » .

وترجع إلى هذه القواعد العليا قواعد تجعل أحكام القضاة المجتهدين أحفظ للمصالح ، وأشد مطابقة لمقتضيات العصر ، ومن هذه القواعد قاعدة رعاية المصالح المرسلة ، والمصلحة المرسلة : مصلحة يدركها العقل في حادثة ولم يقم عليها دليل خاص من الكتاب والسنّة . ومنها قاعدة مراعاة العرف ، وقاعدة سد الذرائع ، وهي المنع من أشياء شأنها أن تؤدي إلى أمور تشتمل على فساد ، ويدلكم على أن الشريعة الاسلامية قائمة على رعاية المصالح أن المجتهدين من أئمتها قد يحملون بعض النصوص المطلقة على أحوال خاصة إذا اقتضت قاعدة رعاية المصالح المرسلة فهم النص على أن المراد العمل به في هذه الأحوال الخاصة .

وصفوة هذه الكلمة الموجزة أن التشريع الاسلامي يوافق حال كل عصر ، ولو نظر إليه غير المسلمين بالعين التي ينظرون بها إلى القوانين الوضعية وقارنوا بينه وبين تلك القوانين مقارنة رائدها البحث عن الحقيقة ، لرأوه رأي العين كيف يأخذ بالعدل من أطرافه ، ويعطي كل ذي حق حقه .

من كتاب شريعتنا الاسلامية

الاعتقاد بأن القرآن الكريم اعجز الجيل الذي نزل فيه ، والاجيال اللاحقة ، وانه سيظل كذلك ، معجزا لاجيال الناس ، حتى ينتهي التكليف بقيام الساعة ، هذا الاعتقاد واحد من عقائد المسلمين ، كالاعتقاد بالبعث والحساب والجنة والنار ، ولم يجر فيه خلاف واحد ، لأنه صريح لفظ القرآن الكريم . قال تعالى :« **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة** »
البقرة آية ٢٣ ، ٢٤
وهذا قاطع في أن الناس لن يفعلوا أي لن يستطيعوا ان يأتوا بسورة من مثله .



أ . د . محمد محمد أبو موسى

وقد اجتهد علماؤنا ، في بيان الشيء الذي به صار هذا الكلام العربي مغايرا لكلام البشر ومعجزا لهم مع ان ألفاظه هي ألفاظهم ، وتراكيبه هي تراكيبهم .

وذهبوا في ذلك مذاهب . ليس القصد من هذا المقال ان يدل عليها ، وإنما القصد ان يدل على واحد منها ، كأنه غائب عن أقلام الباحثين . فلم تتناوله كما تناولت غيره ، ولم تحلله كما حللت سواه ، مع انه من ادق ما قيل في هذا الباب ، وألطفه ، واحكمه ، وأفضله ، ثم هو حين يتسع يفتح بابا من العلم النافع في دراسة اللغة والبيان والشعر فضلاً عن الإعجاز ولعل صعوبته ودقة تحليله كانت من أهم اسباب غيبته وعدم تداوله واشتهاره .

ويقتضي البيان الواضح لما يراد بيانه ان نقول إن المدقق في كلام علماء القرن الثالث ، ـ وهم الذين

وسعوا الكلام في الإعجاز ، وصار من بعدهم عيالاً عليهم ـ اقول ان المدقق في كلامهم حول الاعجاز البلاغي للقرآن يجد كلامهم بدأ متجها وجهتين في بحث هذه البلاغة المعجزة .

● وجهة تبحث عناصر البلاغة المشتركة بين القرآن ، وكلام الناس من شعر وخطب ووصايا وغير ذلك ثم تبين ان هذه العناصر في القرآن بلغت من الدقة ، والسمو ، والغزارة ، والإصابة ، مبلغا يفوت الكلام كله ، ويقطع الاطماع ، ويقهر القوى ،

ويقضي بالعجز الشامل المطبق الذي تستوي فيه الأقدام ، فإذا كانت بلاغة الشعر والادب تدور حول التشبيهات ، والمجازات ،

والامثال ، والكنايات ، وفنون النظم ، فإن هذه الفنون نفسها هي التي بنى عليها القرآن ، لأنها أصول بلاغة اللسان ، ولكنها في القرآن شيء ، وفي الشعر والادب شيء آخر ، فإذا جمعت ما دبجته ألسنة الشعراء من فاخر التشبيه ، وراقك ذلك وَحَسُنَ عندك ، وكثر بين يديك ،

ثم وضعت بإزائه واحدا من تشبيهات القرآن ، رأيت البلاغة العالية في الأدب والشعر قد انطفأ

ضياؤها ، وذهب بهاؤها وكان شرط بقائها الا توضع بإزاء القرآن وهذا هو الشائع الذي عليه الدرس عند العلماء وهو جيدبالغ .

● والوجهة الثانية :تبحث وجوه البلاغة التي توجد في القرآن ولا توجد في كلام الناس ، وهي البلاغة

التي يصح ان نسميها البلاغة القرآنية ، وتكون التسمية حقيقية لا تجوز فيها ، وهي ما أردناه بالبلاغة الغائبة لأنها في كلام

العلماء عزيزة نادرة ولا تستطيع ان تجمع من تراث علمائنا في بابها صفحات قليلة صريحة تكشف

وجهها ، وانما تجدها في كلامهم كالخبيء الذي يشار اليه فيبحث عنه على حد تعبير الشيخ عبدالقاهر .

ويبدو ان طريقهم في استخراج البلاغة الخاصة بالقرآن والتي لاتوجد في كلام البشر . كان تحليل الكلام الصادر عن الانسان ،

واستخراج الاصول العامة التي تراها في كل مايصدر **عن الانسان** من قول بليغ أو غير بليغ . وتراها لاتتخلف عن كلام الناس كأنها جزء من ماهيته . اعني حقيقته ؛

وقد عالجوا الكلام لذلك علاجا طويلا ، فطنا ، يقظا ، متنبها ،

حتى أصابوا هذه الأصول ، وهي ـ فيما أراه وراء كلامهم ـ يجمعها

أصل عام هو كينونة الانسان في كل مايصدر عنه من قول ، سواء كان شعرا ، ام نثرا ، ام كلاما يتناقله مع من حوله في شؤون حياته .

الانسان هناك وراء كل مايدور به لسانه ، أنت واجده لامحالة إذا بحثت عنه ، ثم هو هنا بمعناه العام المطلق الذي يندرج تحته أفراده من زيد وعمرو . وإنما يتميز أدب الأديب ، وشعر الشاعر بمقدار مايستطيع تجديده من هذه الخصائص الانسانية العامة ،

وبمقدار مايستطيعه من تضييق هذه الدائرة ، حتى يكون أدبه دالاً على خصائصه هو ، وأحواله هو ،

وطبعه هو ، وإنما تكون منزلته بمقدار مايصيب في هذا الباب ،

فهناك من تراه غائما في أدبه ، تائها فيه تلوح لك منه شيات مبهمة ،

وصفات غامضة ، هو إنسان يصدق عليه أن يكون زيدا وعمرا

وبكرا وخالدا ، لأنه لم يستطع بعد أن يحدد له سمتا خاصا به ،

ونهجا دالا عليه ، وإنما لايزال ينهض بغير جناحه ، ويستقي من غير سحائبه .

وهناك من استقام لـه نهجه الخاص به ، ومذهبه الذي يسلكه ،

لأنه كابد في ذلك حتى صار أصلاً بنفسه ، وهو الذي تراه في كل بيت

يقوله ، وفي كل سطر يكتبه ، لأنه يحرص على ان يخاطبك بعقله هو ،

وبلسانه هو ، فإذا قارب مذهبه مذهب غيره للأسباب التي تتقارب بها المشارب والمنازع وهي كثيرة ، رأيته عند التدقيق ومعاودة النظر -

يتميز بتوقيعات نفسه ، وأحوال طبعه ، حتى لتسمع رنته الخاصة ، وتذوق طعمه الخاص .

اقرأ شعر الأعشى وسوف ترى الأعشى بشخصه يتسكع في أوديته .

واقرأ شعر زهير وسوف تراه في شعره متدثرا بحكمته ، واقرأ شعر النابغة وسوف تراه في شعره وعلى عاتقه هموم بني ذبيان .

كل واحد من هؤلاء له خواطره وله اهتماماته ، وله لواعجه ، وشئونه وشجونه ، وسبكه وتوقيعه

وضربُه وهو كائن بشخصه في كل ذلك ، وهذا ظاهر ومن الواجب ان يكون ظاهرا جدا .

فإذا تركنا ذلك وقرآنا البقرة وآل عمران او ماشئت من المصحف فإننا لن نجد في آيه ولا في لفظه هذا الانسان الذي كنا نجده هناك ، وأحسب أن هذا هو الذي أدركه الجيل الأول ، لما كان يسمع الآية والآيتين فيبسط يده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعا ،

وكان قبيل ذلك يكاد يتميز من الغيظ ، وإنما حدث في هذه الدقائق

القصيرة شيء اقتلع كل ما في نفسه حتى كأنه كفأها كما يكفأ الاناء ، ولابد أن يكون ذلك ثمرة إحساس

فاجأ النفس وهيمن عليها وقهرها ، وليس إلا أنه تعوّد أن يرى ملامح الانسان في كل ما تسمعه أذنه من كلام الناس ، فلما سمع هذا القرآن لم يجد فيه ما اعتاده . وانما وجد الله فاستيقن .

اقرأ اول سورة طه التي هدمت جاهلية عمر رضي الله عنه ، فسوف

تجد فيها «**تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى**» طه/٤ وتجد فيها «**الرحمن على العرش استوى**» طه/٥ وتجد فيها «**له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وماتحت الثرى** » طه/٦ وهذا هو الله رب العالمين .

واقرأ مثلا أبياتا لزهير بن أبي سلمى الذي كان يحبه عمر ويصفه بأنه أشعر شعراء غطفان سوف تجد رجلا حائراً أمام «دِمْنَةٍ» أمّ أوْفى يتأمل فيها بعد عشرين حجة ولأيا يعرفها بعد توهم ، وأظن انه قد بانت القضية وبقي ان أدلك على موضع استخراج هذا الكلام من تراث علمائنا ، وأول مايلفتك الى هذه البلاغة الغائبة . هو أن

الخطابي يكرر كلمة «البلاغة الخاصة بالقرآن» واذا قلبت كلام العلماء فلن تجد فيه صفحة صريحة تصف لك هذه البلاغة ،

وانما تجد محاولة غامضة في كلام الخطابي ، ثم تجد مـ[illegible] اوضح قليلا في كلام الباقلاني ، [illegible] أحسب

أنه أفاد من إشارات الخطابى ، ولذلك عولت عليه هنا مع أن الخطابي هو الأصل الأول والملهم بالفكرة .

لاتجد في كلام الباقاني ولا في كلام الخطابي كلاما صريحا في المسألة كالذي قلته وهو تحديد الأصول العامة لبلاغة كلام الناس ، وأن هذا هو ما ينعكس على الكلام لا محالة من أحوال نفس قائله ، وخصائص طبعه وملامح شخصه وغير ذلك . ثم بيان خلو القرآن من هذا .

وإنما تجد الباقلاني يدلك دلالة ظاهرة على أن ناقد الشعر لا يلتبس عليه شعر أبي نواس بشعر مسلم ولا شعر البحتري بشعر أبي تمام وما هو من هذا الباب لأن كل شاعر يسكن في شعره .

ثم يحدثك عن وجوه الإعجاز ، ويذكر لك منها كلاما تفهم منه أن هناك مظاهر ضعف عامة في الشعر تجري في شعر الفحول كما تجري في شعر غيرهم ، وأن هذا بالطبع هو ضعف الانسان . ثم أن القرآن يخلو من هذا خلوا كاملا وهذا يعني أنه لم يصدر عن هذه النفس التي يعتريها الفتور ضربة لازب وسأكتفي هنا بإشارات سريعة حتى لا يطول منا الكلام .

ذكر الباقلاني أن كل شاعر من البشر له باب يبرع فيه ، فإذا ما تجاوزه الى غيره ضعف شعره وَلانَ ، وانحلت عقدته ، ولذلك قالوا إن امرأالقيس أشعر الناس إذا ركب ، وان زهيرا أشعر الناس إذا

رغب ، والنابغة أشعر الناس إذا وهب ، والأعشى أشعر الناس إذا طرب ، فجعلوا لكل واحد من هؤلاء ميدانا يبرع فيه ، ولو أنك نزعت لسان امرىء القيس من بين فكيه ، أو يقول كما قال النابغة يعتذر للنعمان .

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني
وتلك التي أهتم منها وأنصب

لما قال هذا وانما يحسن أن يقول :

ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وهكذا ، ثم ان هؤلاء الأربعة هم شيوخ الشعراء ، وهم القدوة ، وهذا يعني أن قصور القدرات البيانية عن الإجادة في كل ميدان وصف لازم لا ينفك ولا تستثنى منه شاعراً من البشر .

وهذه الحالة التي تحددها النفس الإنسانية بطاقاتها المحدودة لا تجدها في المصحف ، وإنما تجد أبوابا من المعاني المتنوعة ثم تجد درجة البيان والرقي البلاغي تجري في هذه الأبواب على ضرب واحد فالكلام الواصف آيات الله في الكون ، والحاكي قصص الأنبياء ، والواصف أحوال الآخرة ، والوعد والوعيد ، والشرائع ، كل ذلك يجري الكلام فيه على قدم واحدة في عروق البلاغة لا يختلف ولا يتلون . وهذا قاطع في ان هذا الكلام ليس مخرجه الانسان ، وليس معدنه وهذا جيد ويقتضينا درسا متسعا نضع فيه اليد على مواطن القوة في شعر كل شاعر ومواطن الضعف ايضا وندرس ذلك ونبينه بيان من يحدد الشيء ويصفه .

وذكر الباقلاني ايضا من وجوه الإعجاز ان تفوق الشاعر والأديب انما يكون بمقدار ما يرد في كلامه من الفقر العالية والكلمات التي هي كعروق الذهب على حد وصف البحترى فقد تقرأ القصيدة ولا تخرج منها الا بالقليل الذي تراه كقول زهير « وحططت عن ظهر الصبا رحلي » وقوله «ولا محالة ان يشتاق من عشقا » وقوله : « وهل ينبت الخطي الا وشيجُه » وقوله « وكل فحل له نجل » وقوله « وحيثما يك امر صالح فكن » الى آخرما يشبه هذا . ثم ان تكاثر هذه الغرر او قلتها وتناثرها هو الذي نحدد في ضوئه طبقة الشاعر ، وليس هناك شعر بني كله من هذه الكلمات المختارة النادرة ، وذلك لأن هذا يناقض فطرة الانسان التي يعتريها الفتور والاختلال ، تراه يتفوق ويحلق ويسمو الى عوالى الذرى ويقتنص كلماته من هناك ، ثم ما يلبث ان تهوى به اجنحته الى الأودية فتنال منها كلاما آخر ، وهكذا ...

○ بلاغة القرآن ○

● القرآن كله بني من هذه الكلمات التي ليست من عوالي الذرى فحسب وانما هي مما هو فوق

الفوق ، يروعنا قول زهير (وهل ينبت الخطي الاوشيجُه) فإذا ما قرأنا قوله تعالى « ذرية بعضها من بعض » آل عمران/٣٤ انطفأ اشعاع كلام زهير ، ويروعنا قول ذي الرمة « وتساق الثريا في ملاءته الفجر » فإذا قرأنا قوله تعالى « والصبح اذا تنفس » التكوير آية ١٨ . رأينا ملاءة فجر ذي الرمة خرقة بالية . وهكذا ثم أن غرر

الشعراء التي تصير رمادا بإزاء ما في المصحف قليلة كما قلنا ، وهي التي تحسب للشاعر وتوضع في ميزانه وتعد له ، والقرآن كله مبني من هذا الذي فوق المختار ويمضي كله على نسق واحد ، اقرأ ما شئت وسوف تجد كل جملة في المصحف صالحة لأن تكون وحدها قلادة الجيد وقاعدة التجويد كما يقول علماؤنا تأمل :

« **اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر** » القمر آيات/١ ، ٢ ، ٣ .

ترى كل واحد من هذه الجمل شيئا برأسه ، خذها من آخرها وقل : » وكل أمر مستقر » ستجد كلمة تامة ورائعة ونبيلة ثم قل . واتبعوا أهواءهم وهكذا .

والباقلانى حين اعتبر هذا وجها من وجوه الإعجاز إنما كان يعني استحالة صدور كلام لا يعتريه اختلال من نفس يعتريها اختلال وتتوارد عليها الأحوال ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

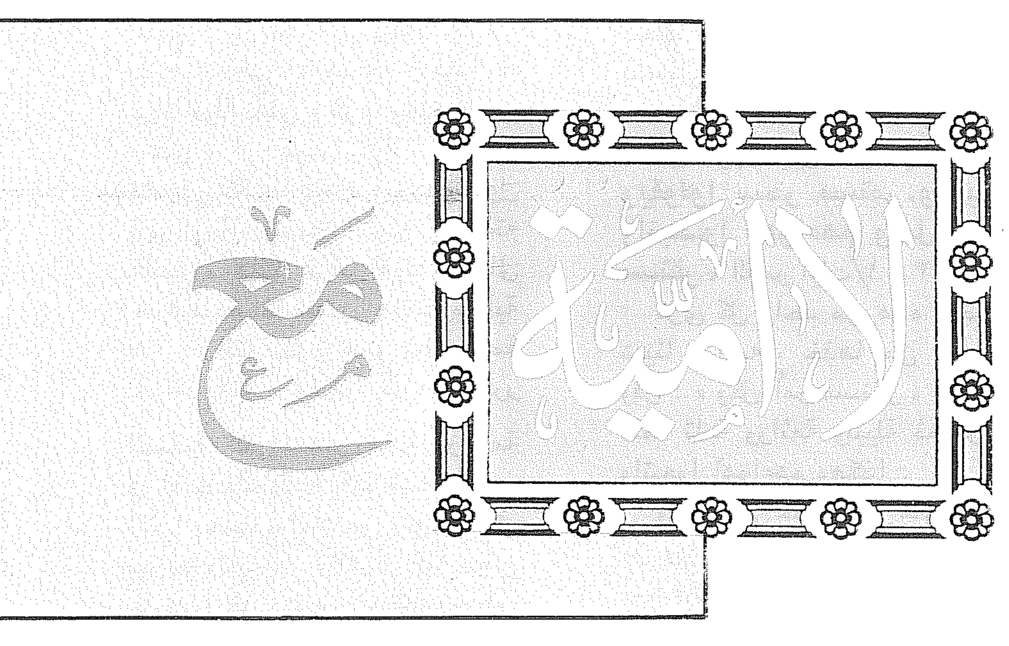
العياذة .. واللياذ

العياذة تكون لدفع الشر ، مثل قولنا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أي أستجير بجناب الله سبحانه من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني ودنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به .

أما اللياذ فيكون لطلب الخير ـ كما قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أؤمله
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره
ولا يهيضون عظما أنت جابره



صرح احد المسؤولين في احد مواقع جهاز محو الأمية قائلا :. إن كل المحاولات التي بذلت في سبيل محو الأمية قد فشلت في تحقيق أهدافها ولابد من بداية صحيحة على الطريق وإلا أهدرنا الجهود والطاقات والوقت في حلقة مفرغة من المحاولات الفاشلة .

.. والواقع الذي نعيشه يطرح تساؤلا خطيرا .

لماذا الأمية عندنا في تصاعد مستمر رغم وجود التعليم النظامي وانتشاره ؟!

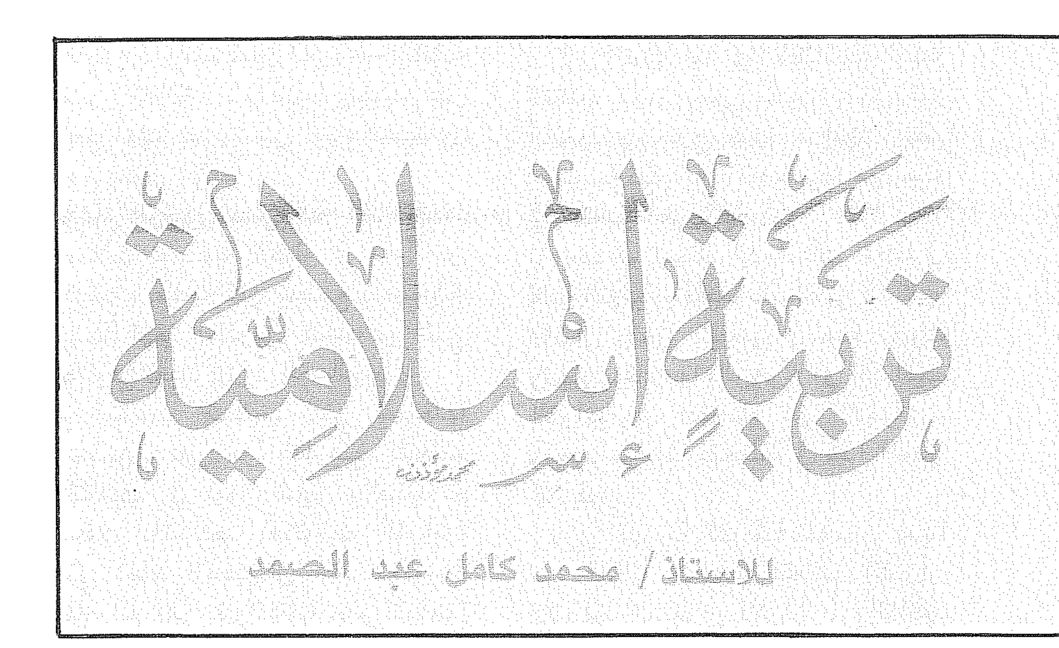
.. ثم لماذا الأمية في تصاعد مستمر برغم إنشاء المراكز الخاصة بمحو الأمية للكبار فضلا عن أن النتائج ضعيفة بجانب النفقات المادية الباهظة المخصصة لهذا المشروع ؟!

هل في تراثنا الاسلامي علاج ؟

الحقيقة الغائبة عن الأذهان هي أننا لم نحاول البحث عن حلول لهذه المشكلة المستعصية في فكرنا الاسلامي ولم نبحث عنها في تاريخنا أو نكلف أنفسنا عناء البحث عن الحلول في المنهج التربوي الاسلامي الزاخر بها .

والسبب في ذلك كله هو أن الخبراء اجانب كما ان المؤسسات الدولية في هذا المجال بعيدة كل البعد عن الاسلام وحتى لو عرفت الحقيقة فلا يسمح لها ضميرها الصليبي أن تقدم للمسلمين الارشادات التي تساهم في صلاحهم وتقدمهم وحل مشاكلهم كما أن خبراءنا أنفسهم يجهلون حقائق دينهم فانبهروا بما هو موجود في الغرب ولا غرابة في ذلك «فمن جهل شيئا عاداه» كما يقول المثل العربي .

وهذا ما يفسر لنا محتوى الدراسات المختلفة التي يقدمها الخبراء وتنشر على صفحات الصحف



ومعظمها لا تشير لامن قريب ولا من بعيد الى وجهة النظر الاسلامية في هذه المشكلة كما نجد الواحد منهم يذيل موضوعه بهوامش عديدة تشير الى مراجع غربية بينما المراجع الاسلامية ليست في الحسبان !!

وهذا يجرنا بالتالي الى سؤال آخر هو :

ماذا في منهجنا الاسلامي من حلول لمحو الأمية ؟

أذا تأملنا حقيقة دعوة الاسلام وبالتالي حال المسلمين الذين يقومون بأداء شعائرهم الدينية نجد أن الأمية لم تعرف اليهم طريقا .. فليس من المعقول ولا من المنطق ان تكون أمة « اقرأ » يجتاح صفوفها الأمية .. فأمة اول مانزل اليها من القرآن هي كلمة « اقرأ » لا تكون أمية ولا سيما وقد نزلت « اقرأ » بصيغة الأمر .. والقراءة لا تتأتى الا بعد تعليم الوسيلة المؤدية لها وهى الكتابة ثم القراءة التي أمر الله تعالى بها أمة اقرأ .. وهى عامة يدخل فيها جميع ماكتب من علوم ومعارف ثم إن آية اقرأ تعتبر اعلانا صريحا توجب على الفرد المسلم ان يقوم بحرب شعواء لاهوادة فيها ضد الجهل والأمية ، وأن يستغل في ذلك جميع الوسائل الممكنة والمتاحة للقضاء على هذه الآفة التي قضت على شعوب كثيرة بادت ولازالت تفتك بالبشرية وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقود بنفسه الحملات ضد الأمية والجهل .

أول حملة ترفع ضد الأمية في التاريخ .

إن أول من قاد هذه الحملة وخطط لها بصورة جماعية هو الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أمر أسرى بدر

بتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحهم وحدد لكل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين يرفع عنهم الأمية ..

ثم قام الرسول صلى الله عليه وسلم بحملات جماعية للكبار في دار" ابن الأرقم » عندما كان يجتمع بأصحابه مبينا لهم الطريق السوي التي اختارها لعباد الله الصالحين .

ثم أسست المساجد التي استغلها المسلمون على مر التاريخ للتعليم والتثقيف في أمور الدين والدنيا ثم الحقت بالمساجد الكتاتيب القرآنية التي تعلم الصبيان منذ نعومة أظافرهم القراءة والكتابة حتى لايقعوا فريسة الأمية .

أن أمة يقول لها رسولها صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجة، كيف تكون جاهلة بالقراءة والكتابة ؟!

ومن هنا برزت اهمية الكتاتيب الاسلامية التي تستقبل الصبيان وهم صغار تعلمهم القرآن مبتدئة بالكتابة ثم بحفظ القرآن الكريم ابتداء من السور القصار .

وهذا ما يفسر لنا اهتمام المسلمين بهذه المؤسسة الأهلية وانتشارها في كل مكان حل به المسلمون أثناء فتوحاتهم حيث كانت بعثة العلماء والمربين والفقهاء دوما ملازمة للجيش الاسلامي عندما يذهب للفتح وكانت خيمتهم تنصب الى جانب خيمة الجيش قبل ان يستقروا .

إن أعظم ما في الكتاتيب انها لاتتقيد بعمر زمني معين يدخل فيه التلميذ ويتخرج منها .. إنها أعظم مؤسسة تعليمية لا تضاهيها مؤسسة في القضاء على الأمية .

وها هو استاذ الدراسات العليا في كلية التربية بجامعة بنسلفانيا الدكتور دانيال راجز يوصي في عدة بحوث وتجارب قام بها بالرجوع الى الكتاتيب القرآنية في القضاء على الأمية ، ويعدد مزاياها المختلفة في هذا المجال اذ يقول :

« إن المدرسة القرآنية تتضمن عددا من المزايا العامة لتعليم القرآن كالحفظ الشفوي للقرآن ، والتأكيد على النطق اللفظي العربي الصحيح والتدريب على الخط العربي ».

ويقول عنها ايضا .

« المعلم الحديث لم يستطع ان يتبوأ المركز الاجتماعي الذي تبوأه شيخ الكتاب أو المعلم الاسلامي في السابق »

ويقدم «الدكتور دانيال» نصائح للمسؤولين عن محو الأمية في العالم الثالث بضرورة الرجوع الى الكتاتيب الاسلامية .

ويدهش المؤرخ الجزائرى توفيق المدني عندما يجد سكان منطقة صحراوية في الجنوب الجزائري يتكلمون اللغة العربية الفصحى دالسليمة فيقول .

« مرد ذلك الى انتشار الكتاتيب القرآنية في المنطقة »

● وزارة التربية الوطنية بالمغرب تحاول العودة الى الكتاتيب .

طالعتنا مجلة المسلمون بالخبر الآتي .

« قررت وزارة التربية الوطنية بالمغرب وضع برنامج جديد لربط الكتاتيب المنتشرة بالقرى والمدن بالتربية الاسلامية بحيث تؤدي هدفها في حفظ القرآن والتعريف بحضارة الاسلام !

ويضيف الخبر ما صرح به المسؤول الأول بالوزارة :

إن برناعجةيرتكز ارتكازا قويا على التربية الاسلامية وهو في ذاته لا يعتبر كاملا اذا لم تكن هناك أطر قادرة على تنفيذه .. وهو يعلم ان المدربين الموجودين الآن محتاجون إلى إعادة التكوين ومحتاجون الى استيعاب هذا البرنامج قبل أن يبدأ في تطبيقه ، لذلك عملت الوزارة على تكوين خلية تربوية الغرض من تكوينها ان تترجم هذه البرامج الى منهجية والى طريقة تربوية من كتاب يساعد المدربين على إيصال المعلومات التي تحتويها رؤوس وموضوعات البرامج الى الأطفال .

ثم يستطرد الخبر في ايضاحه .

«من المعلوم أن الأطفال في هذه المرحلة يحتاجون الى مساعدتهم على تنمية أجسامهم ويحتاجون كذلك الى التنمية العقلية وذلك بتقديم معلومات ووسائل تساعدهم على هذا النمو ، ولن يكون هذا النمو كافيا إلا إذا كان في جسم صحيح ».

ونتساءل هنا .. لماذا لا تتأسى وزارات التعليم في البلاد العربية والاسلامية بماتسلكه وزارة التربية بالمغرب ؟!

تساؤل نطرحه أمام نفوس صادقة واعية من مسؤولي وزارات التعليم قبل أن يسألوا أمام رب العالمين يوم حسابه .

⊙ نتيجة هامة ينبغي أن تعيها قطاعات محو الأمية :

لا أمية مع تربية اسلامية .. فكيف بربكم أمة فرض على أفرادها تعلم العلم أن تكون أمية .. وإذا رجعنا الى تاريخ الأمة الاسلامية وحتى في عصور تخلفها وجمودها نجد الحرص الشديد على ضرورة تعلم القراءة والكتابة بدافع المزيد من التعلم لآيات الله واحكامه .. ولكن يبدو أننا قد نسينا شيئا مهما يجرى في عروق كل مسلم ومسلمة .. نسينا او تناسينا التربية الاسلامية وما يدعو اليه الاسلام .. نسينا أو تناسينا الدوافع الحقيقية التي غرسها الاسلام في النفوس من الحرص على التعلم والاستزادة منه .

⊙ اقتراح عملي :

لماذا لا نفرض على كل طالب في المرحلة الثانوية بنوعيها العام والفني ان يمحو أمية عشرة من المواطنين كضريبة يدفعها لقاء ما وفرته الدولة له من فرص التعليم والثقافة .. أو أن يمنح درجات استثنائية تضاف الى مجموعه الكلي .. أو أن تقام مسابقة في هذا المجال يمنح المساهمون فيها شهادات تقدير أو ما شابه ذلك ,

ثم ماذا لا تعلم المدارس والمعاهد في الفترة الص. فيه في مجال محو الأمية بصور رسمية وليس تطوعا فحسب ـ في مجال محو الامية بشقيها امية القراءة والكتابة .. وامية الثقافة العامة .. وتمنح حوافز مجزية للمتلقى

والملقي أي للامي والمعلم ..
وهذا الأمر لا تستطيعه وزارة التعليم وحدها بدون ان تساندها أجهزة الحكومة بجعل قضية محو الأمية . قضية قومية حتمية فرضية وليست اختيارية تطوعية كما هو حادث الان .

وليس من قبيل المبالغة ان نقول إن الأمية بشقيها الثقافية والعامة تمثل مشكلة من أخطر مشكلات التنمية .. ومن ثم فمن المحتم علينا ان نعاملها معاملة الوباء وذلك من خلال وضع خطة شاملة ومتعددة المراحل .

إنه من الغريب أن عدد الأميين يزداد بدلا من ان ينخفض كما تشير احدى الدراسات الصادرة عن اليونسكو عام ١٩٨١ .

والبعض يرجع ذلك خطأ الى تزايد عدد المواليد .. وهذا قياس غير صحيح فالأمية تولد مع الانسان . لا لتبقى وانما هى عرض وقشرة خارجية يمكن للطفل ان يتخلى عنها في سنوات معدودات اذا وجد العناية .

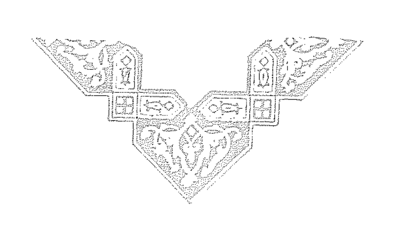
وينبغي الا نغفل عن أهم أسباب توسع رقعة الأمية في المجتمعات العربية والاسلامية وهى ظاهرة تسرب التلاميذ من مدارسهم دون تحقيق الهدف المنشود في تعليمهم التعليم الكافي .. وهذا يجرنا الى قضية أخرى ..

ونتساءل هنا .. من المسؤول عن تسرب بعض التلاميذ حين يتركون الدراسة والمدرسة ليرتدوا اميين الى غير رجعة ؟!

سؤال نطرحه ونحن نرى ثروة بشرية تترك ركب التعليم بعد ان تتعثر فيه أو ترى أن العائد من التعليم أصبح لا يعتد به .. وتشير النتائج التي قامت بها الدراسات مؤخرا الى نتائج مذهلة إذ ان ما لايقل عن ٣٠٪ من التلاميذ يتسربون من مدارسهم دون تحقيق الهدف المنشود . وبهذا يضيع اهم استثمار الا وهو الاستثمار البشرى .

كما اشارت النتائج إلى ان المتسربات من التلميذات اكثر عددا من التلاميذ بسبب زواجهن او غيره .. وان معظم الفتيات اللاتي يتركن الدراسة يرتددن الى اميات بعد ان يقبعن بين جدران المنزل .. ولذا نرى ضرورة الاهتمام بالتعليم الابتدائي كأفضل اسلوب لمحو الأمية . ومحو امية الصغار أولى من محو أمية الكبار .

ثم نرى ان **الأمية وتفشيها** ترجع **قبل وبعد كل شيء الى البعد عن النهج الاسلامي والتربية الاسلامية ... ..**





للأستاذ / ابراهيم النعمة

تعرض تاريخنا الاسلامي لهجوم عنيف على مستويات كثيرة . فصوّر بعض المستشرقين تاريخنا على انه معارك وحروب ودماء ليس إلا ، وأبعدوا في الوقت نفسه الروح الاسلامية ـ روح الهداية ـ التي كانت تريد أن تخلص الناس من حياة البؤس والشقاء ، وتنقلهم إلى حياة السعادة والرفاه !

ومن ناحية أخرى ، فقد كتب تاريخنا الاسلامي بأسلوب يجعل الطالب يحفظ نتفا من تاريخنا : كسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن ذلك الاسلوب الذي كتبت به السيرة وغيرها لا يعني بتحليل الأحداث التاريخية ، وتبيان أهمية العقيدة الاسلامية التي كانت تدفع المسلم وتحضه على الإقدام لا الاحجام !

ولم يترك أعداء الاسلام من وسيلة إلا اتبعوها لتشويه تاريخنا ابتداء من حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعثة ، فقد شككوا في دعوته ، وفي الوحي والقرآن ، وطعنوا في خلفاء المسلمين ، وقادتهم يقول البروفيسور (مونتغمري واط) في كتابه (محمد في مكة) ـ باللغة الانكليزية ـ ما مؤداه :

« إن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يذهب إلى غار حراء لا ليتحنث (يتعبد) ، كما هو معروف ، لكن للاصطياف !!! معللا ذلك بأن اغنياء مكة كانوا يذهبون إلى الطائف هربا من

حرها . أما هو ، فلم يكن في وسعه مجاراتهم لفقره ، ولذلك كان يذهب إلى غار حراء ليصطاف .

وقد عمل الغربيون على إخضاع تاريخنا الاسلامي للمناهج التي يدرسون في ضوئها التاريخ الغربي من غير ان ينظروا إلى الفروق الكبيرة بين التاريخين من حيث الظروف والطبيعة والمقومات ، ففسروا تاريخنا تفسيرا ماديا ، وتاريخنا الاسلامي النابع من عقيدتنا لا يفسر تفسيرا ماديا ، لأنه تعامل مع الانسان ، وللانسان مشاعره وأحاسيسه ، وفي حياته ماهو مادي وماهو معنوي ، فلايمكن ان نحصره في هذه الدائرة الضيقة !

كذلك الأمر في سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد ظهرت بعض الكتابات التي تفسر سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفسيرا ماديا كذلك ، وبرزت هذه الكتابات الى الوجود قبل أكثر من خمسين سنة ، وغرضها ان تجعل من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلا عبقريا كسائر العباقرة ، او تجعله بطل أمة ، هادفة إلى تجريده ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من صفة النبوة . وكانت اولى هذه المحاولات هي تجريد رسول الله من المعجزات ! واصحاب تلك المقالات والكتب لا يسلمون بوجود معجزات لرسول الله التي هي امور خارقة للعادة ، مقرونة بالتحدي ، سالمة عن المعارضة ، إذ إنهم يظنون ان ذلك مناف للعلم ! والمعجزة لاتتنافى مع العلم ولا تصطدم به ، لكن أجهزة العقل قاصرة عن إدراك حقيقة أسباب المعجزة !

ان تفسير الغربيين للتاريخ تفسيرا ماديا ينطبق على ما فعلوه ـ هم ـ حيث فرضوا عقائدهم ومبادئهم بالقوة ، وقاسوا تاريخنا الاسلامي على ما فعلوه هم . يقول الاستاذ (تريتون) في كتابه (الاسلام عقيدة وعبادة) .

« إذا صح في العقول ان التفسير المادي يمكن ان يكون صالحا في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى ، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فإن هذا التفسير المادي يفشل فشلا ذريعا حين يرغب في ان يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم وثبات إقدامهم .

فلم يبق امام المؤرخين إلا ان ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة ، فيرى انها تقع في هذا الشيء الجديد : **« الا وهو الاسلام »**

وتعرض تاريخنا لهجوم عنيف حين عملت الصهيونية في تفسيرها له على ان توجد انفصاما بين الاسلام وحنيفية سيدنا ابراهيم لتقطع المسلمين عن ماضيهم ، وتبرز مقولاتهم التي سفهها القرآن الكريم حيث زعموا انهم شعب الله المختار . واستهدفت من كتاباتها بهذا الامر ـ ايضا ـ الحيلولة دون قيام وحدة فكرية بين المسلمين !

كما ان تاريخنا تعرض لهجمة اخرى : وذلك بتجديد الكتابة عن الحركات الباطنية : كالقرامطة والاسماعيلية ، ووصفها بحركات

تحرير ورفع مظالم ! وقد أوصى مؤتمر (بلتيمور) الذي عقد تحت إشراف الصهيونية في امريكا بذلك عام ١٩٤٢م .

وتعرض تاريخنا على ايدي بعض المؤرخين الغربيين لتفسيره تفسيرا عنصريا : كما فعل (فان فلوتن) و (ولها وزن) في كتابيهما : (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات) و (الدولة العربية وسقوطها) !

ومما وقع فيه الغربيون من أخطاء وحاولوا إشاعتها ونشرها في العالم الاسلامي خاصة ، عدم تفرقتهم بين الاسلام وتاريخه . ولا ريب ان هناك فارقا بين مبادىء الاسلام وتاريخ الاسلام ، ذلك ان مبادىء الاسلام ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، لكن تاريخ الاسلام لم يسر في كل العصور على شكل واحد ، فإن حكامه كانوا متفاوتين قوة وضعفا ، وقربا وبعدا من تطبيق شريعة الاسلام : فمنهم من أصاب ، ومنهم من أخطأ ، وهذه الاخطاء التي وقع فيها بعض الحكام لا يتحملها الاسلام ، بل يتحملها من صدر منه الخطأ .

وقد وقع كثير من المستشرقين في هذا الخلط ، إذ لم يفرقوا بين مبادىء الاسلام وتاريخه ، ومن هؤلاء : (مرجليوث) و (ماكدونالد) و (موير) !

إن التاريخ الاسلامي ليس بتاريخ فكر وأوضاع اجتماعية وسياسية فقط ، ولكنه قبل ذلك تاريخ عقيدة نظمت شؤون الناس الدينية والدنيوية ، وهذه العقيدة تتميز بخصائص تفقدها العقائد الأخرى .

ومن هذا يتضح جليا الخطأ الكبير الذي يقع فيه الغربيون حين يتحدثون عن تاريخنا الذي فصلوه عن عقيدة الاسلام . وإذا وجد منهم من يولي العقيدة بعض الاهتمام ، فإنه ينظر إلى العقيدة الاسلامية كنظرته إلى عقيدة اوروبا ومفاهيمها وايحاءاتها !

وقد وقف أعداء الاسلام من التاريخ الاسلامي هذا الموقف من تحريف الكلم عن مواضعه والتشويه والتشكيك ، لأن دراسة تاريخنا على حقيقته بنصاعته ونضارته يجعل المسلم يعتز بتاريخه ويعجب به ، وتدفعه هذه الدراسة إلى ان يقتدي المسلم بآبائه واجداده ، وان يكون ذا عقلية راجحة ، ونفسية اسلامية تعتز بدينها لا ترضى به بديلا ، وان يتمسك المسلم بحقيقة العقيدة التي تمسكوا بها فبنوا حضارة عملاقة ومدنية فاضلة أدهشت الدنيا بنبلها وروعتها وبهائها ، وعند ذاك يقيم المسلم وجوده ، ويسعى لرفع كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في الدنيا كلها ، وهل يخشى الغرب من شيء خشيته من إقامة حكم الله في الارض ؟! كذلك رأينا من المستعمرين الحاقدين من يضع خطة يحاول فيها الانحراف في دراسة تاريخنا ، إذ ان دراسة تاريخنا بصورته الصحيحة تجعل المسلم يربط بين الدين والدنيا ، لذلك عمل أعداء الاسلام على ربط المسلم بمعتقدات غير اسلامية ، وإذاعة ان الغرب لم يتقدم إلا بعد أن حصل الفصل بين الدين والدولة !!

وإذا كانت للغرب ظروفه الخاصة التي أدت إلى هذا الفصل فإن

الاسلام لا يعرف هذا الفصل النكد فقرآننا الكريم يدعو الناس إلى الايمان بجميع أحكامه الدينية والدنيوية ، ويعتبر الايمان ببعض القرآن والكفر ببعضه الآخر كفرا ، وان القرآن الذي أنزله الله ، أنزله ليحكم به الناس . لا ليتبركوا به أو يتغنوا فحسب !

« **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** » المائدة/ ٤٩

والاسلام ينظم شؤون الفرد والأسرة والدولة ، بل ينظم شؤون المجتمعات كلها .

على ان الدولة في نظر الاسلام جزء من الاسلام نفسه ، إذ لا يقوم الدين إلا لها . ولقد قامت قيامة الكنيسة حين تفتحت عقلية بعض الاوروبيين ، فقاموا باكتشافات علمية ، تاركين تقليد آبائهم وأجدادهم جانبا ، لكن هذه الاكتشافات كانت وبالا عليهم ، إذ كلفتهم أنفسهم وحياتهم ، فقد كفرتهم الكنيسة ، واستحلت دماءهم وأموالهم ، وانشأت محاكم التفتيش « ويقدر عدد من عاقبتهم هذه المحاكم بثلاثمائة الف ، أحرق منهم إثنان وثلاثون ألفا أحياء كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو ، نقمت منه الكنيسة آراء من أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل وأقترحت ألا تراق قطرة من دمه ، وكان ذلك يعني ان يحرق حيا وكذلك كان .

وهكذا عوقب العالم الطبيعي غليلو (Galilio) بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الارض حول الشمس .

فإذا كانت الكنيسة الاوروبية قد اضطهدت العلماء ، فقتلت بعضهم وعذبت آخرين ، وألقت غيرهم في غياهب السجون ، فإن الاسلام شجع العلم والعلماء ، بل جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم . يقول العلامة (مسمر) .

« إن الغربي لا يصير عالما إلا إذا ترك دينه ، بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلا » .

وهكذا ، فإن التاريخ الاسلامي لايعرف الفصل بين الدين والدولة . والذي تبنى هذه الدعوة في بلاد المسلمين هو حزب الاتحاد والترقي ، ولا يخفي على المتأمل ان بعض قيادات هذا الحزب كانت يهودية !

ولقد وقع بعض المسلمين في الوهم حين ظن ان هذه الكلمة تعني العلم ليس الا ، لكن هذه الكلمة ما كانت تعني ذلك ، بل كانت تعني (اللادينية) وقد رفع هذا الشعار كي تتم زحزحة المسلمين عن دينهم بهدوء ، من غير ان تصطدم بمشاعر الناس وأحاسيسهم !

على ان الاستعمار الاوروبي وغيره سلك أساليب كثيرة في محاربة الاسلام . ومن ذلك ما كان يلاقيه التعليم (اللاديني) من تشجيع كبير ، وإغداق المرتبات الكبيرة على المتخرج من مدارسه ، في الوقت الذي كان التعليم الديني قد ضيق عليه الخناق ، فيتخرج الطالب من

مدارسه ، ولا يكاد يجد من المرتب مايسد به رمقه !

وفوق ذلك ، فقد كان مدرس الشريعة وطالبها محل سخرية وتهكم ، والنتيجة الطبيعية ان ينفر الطلاب من الدروس والعلوم الاسلامية، ويتجهوا إلى مدارس لا تعني بأمر الاسلام ، ومن ثم يبدأ البعد عن الاسلام . يقول « هاملتون جب » في كتابه (وجهة الاسلام) .

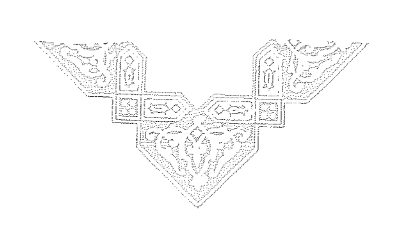
« لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة ان يترك في المسلمين ـ ولو من غير وعي منهم ـ أثرا يجعلهم في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد » .

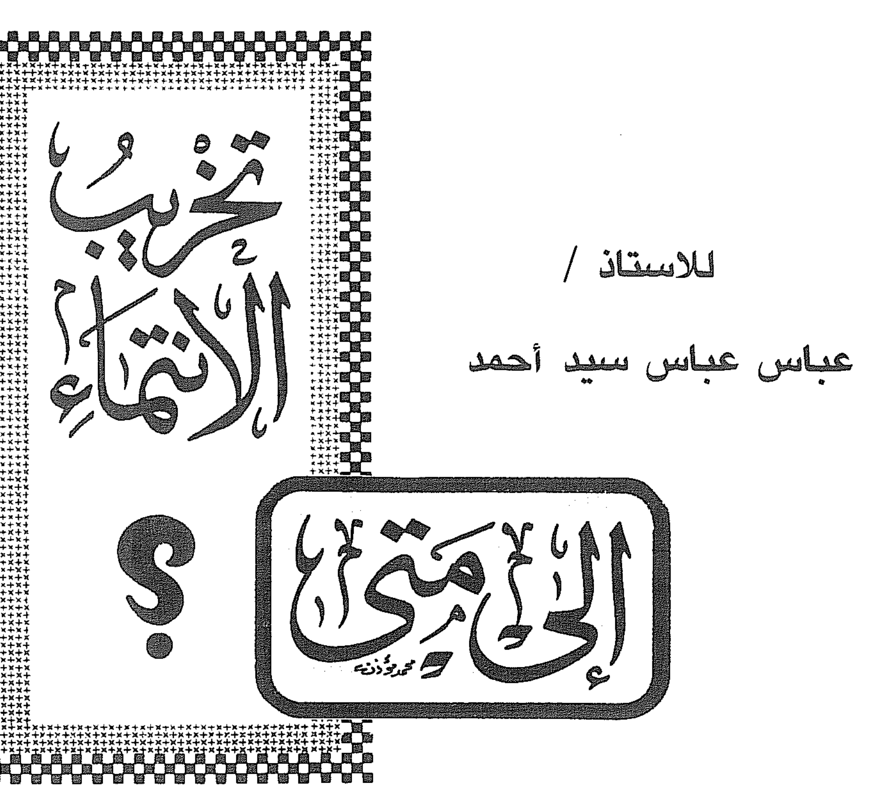
وزاد الطين بلة حين صارت البعوث من أبناء المسلمين تتوالى على دول الغرب للدراسة في معاهدها وكلياتها . ولا ريب ان الطالب في هذه الكليات يزداد جهالة إلى جهالته في إسلامه ، ويتعلق بمثل وأخلاق وطباع الدولة التي يدرس فيها ، وهي مثل وأخلاق وطباع غير إسلامية .. وهكذا حتى يصير المسلم داعيا إلى الغرب ، متحمسا لمثله وعاداته أكثر من تحمسه لأخلاق أمته . يقول (مورو بيرجر) .

« أما الآن ، فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى الى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امرأً ما قد ذهب أو لم يذهب إلى اوروبا مثلا ، فقد أصبح العرب متغربين بدون ان يتكلفوا عبء الذهاب إلى اوروبا » .

وإذا كان الغرب قد نجح هذا النجاح في غزوه الفكري ، فقد أخفق في مجالات كثيرة ، حين تكونت ردود الفعل عند الشعوب الاسلامية ، حيث كان من نتيجة ذلك الغزو ان انبرى عدد ليس بالقليل في العالم الاسلامي يدعون الى التمسك بالاسلام : بعقائده وتشريعاته ومثله ونبذ ما عداه نبذ النواة . وظهرت حركات اسلامية كثيرة تدعو إلى الأخذ بالاسلام وجعله نظام حياتها ، يطبقه الفرد والأسرة والمجتمع والدولة . ولقد أصيب (العلمانيون) بخيبة أمل مريرة حين رأوا ردود الفعل . فقد قال عصمت انونو وهو في مرض موته .

« إنني لا أكاد أصدق ما أرى ! لقد بذلنا كل ما نستطيع لانتزاع الاسلام من نفوس الاتراك وغرس مبادىء الحضارة الغربية مكانه، فإذا بنا نفاجأ بما لم نكن نتوقعه ، فقد غرسنا العلمانية ، فأثمرت الاسلام !!





للاستاذ /
عباس عباس سيد أحمد

ظاهرة جديدة تذكرنا بأيام كانت بلادنا مزرعة يضع يدهم عليها الأوربيون والأجانب المحميون بهم من كل لون وجنس .

هذه الظاهرة هي شيوع الأسماء الأوروبية التي تحملها واجهات المتاجر ، والمكاتب التي تعمل في مجال الخدمات على اختلافها .

والظاهرة المذكورة لها نظائر كثيرة ، وما كل منها إلا تعبير عن مفهوم ذي شقين : كل ما هو عربي رديء ، أو « موضة قديمة » ، وكل ما هو أوروبي متفوق من كل الوجوه .

ولا تستوقفنا الظاهرة المذكورة أكثر من غيرها من تعبيرات هذا المفهوم الا لأنها تتصل باللغة القومية ، وفيما عدا هذا فإنها ككل التعبيرات الأخرى لا ينبغي أن ينفرد أحدها بدهشتنا أمامه ، أو أسانا لحدوثه ، فالأحق بذلك هو المفهوم الذي تنبثق منه هذه التعبيرات جميعها ، والذي مغزاه أن انتماءنا مصاب بالخلل .

إلامَ ترجع المسؤولية عن وجود هذا المفهوم الذي بات أدنى الى المسلمات ؟

بمعنى آخر : إلامَ ترجع المسؤولية عن إصابة انتمائنا بالخلل ؟

في تصورى ترجع الى الثقافة .. الثقافة الفاعلة في حياة المجتمع ، والتي يتعرض الناس لتأثيرها كل يوم ، في كل لحظة .
لكننا إذا شرعنا في التحدث عن الثقافة كسبب في خلل الانتماء فإنه يصعب أن نتجنب الحديث عنها هي كنتيجة لخلل انتماء معلن ومسبوق بالاصرار ، وربما كان ذلك هو مشروع السطور القادمة ، أما نقطة البدء فهي هذا التساؤل :

ألا ينبغي أن تعبر كل أمة بثقافتها عن هويتها هي ؟ ونزعم أن الجواب بالايجاب مما يجعلنا نتساءل مرة أخرى : هل نعبر بالثقافة عن هويتنا نحن ؟
والجواب : كنا كذلك فيما مضى إذ كان كل جيل يعتبر نفسه حلقة وسيطة بين جيل الماضي وجيل المستقبل فيأخذ نفسه باستيعاب المعارف التي خلف فيها سلفه ، وقد يدخل عليها من التعديلات ما يراه ، أو يمحص منها بالاختبار ماكان ينقصه التمحيص ، لا يشغله ذلك عن أن يضيف اليها جديدا مما يبتدعه أو إبداعا يقتبسه من الثقافات الأخرى بلا تفريق بينها ، وهكذا كانت تتواصل الأجيال .
إلى أن جاء العصر الحديث ، وتضافرت ارادات متعددة على الحيدة عن هذا النهج بآخر كان أساسه الأنبهار بما احرزته أوروبا من تقدم في شتى مجالات الحياة واعتقادا بأننا نحن العرب لا يمكننا أن نخرج من دائرة التخلف التي كان سببها فترات حكم كان فيها الحكام غير معنيين الا بفرديتهم على حساب شعوبنا ما لم نأخذ عن أوروبا الناهضة تجارب نهوضها .

إنها إذا مواكبة الحضارة الأوروبية التي لم ينقطع التنادي إليها حتى الآن .
هنالك استعير التعليم الأوروبي ليعمل وعلى نفس النظام منفردا عن التعليم الذي كان يعمل وهو التعليم العربي الاسلامي ، واتبعت التربية الجديدة المعتمدة على تصورات التربية الأوروبية بدلا من التربية الاسلامية ، وعلى الطريقة نفسها جرى اختيار القوانين ، ووضعت المرأة العربية دون سابقة على طريق المرأة الأوروبية بدعوى تحريرها الى غير ذلك وهو كثير .
إذا ألقينا الآن نظرة على حصيد هذه المواكبة فماذا نجد ؟
● في مجال العلوم التجريبية والتطبيقية أو مجال التكنولوجيا » ما وصلنا إلى نقله أقل من الحد الأدنى اللازم ، ولا نريد أن نقول إننا مازلنا على الهامش ، وإن لم يكن في مثل هذا القول مبالغة .
● في مجال الثقافة تجاوزنا المستحب اذ ارتبطت الثقافة (العربية) بالثقافة الأوروبية في تبعية ذات بعدين : أحدهما يتصل بهيكلها ، فإنه ما من شيء تشتمل عليه يمت إلى الفن أو الأدب أو غيرهما إلا هو نظير مقلد لأصل في الثقافة الأوروبية ، ليس فقط وإنما يتبع قواعده الأوروبية نفسها تلك التي

تتعلق بالشكل والمضمون ، وطريقة المعالجة ، ويدور معه حيثما دار يزيد ما يزيد ، وينقص ما ينقص ، وينسخ ما ينسخ الخ
ألا يسمح لنا هذا أن نقول : إننا لا نعبر بالثقافة الحالية ـ التي لا تختلف عن الثقافة الأوروبية إلا باللغة في جانب منها وبالسمات البيئية التي تفرض نفسها على الموضوع المعالج أحيانا ـ عن أنفسنا ولكن عن الأوروبيين ، بمعنى أن هذه الثقافة ثقافتهم ولكن بأداء عربي .
على أن التبعية الثقافية هذه ليست وجهة نظر لنا ، نقول هذا لئلا يظن أننا نتعمد جرح مشاعر الثقافيين (العصريين) إذ الواقع أنهم الذين يقررون هذه التبعية ، بل إنهم ليريدون أن تضم عليها الأجيال الجديدة جوانحها كأنها مما تقضي به سنن الحياة ، ففي المدرسة يلقن الطلاب الآن خلال دروس اللغة العربية أن الشعر العربي أخذ يتغير بداية من العصر الحديث متأثرا بالتغيرات التي تناوبت الآداب الأوروبية وقد بدأ بسامي البارودى كلاسيكيا لأن الكلاسيكية كانت مذهب الآداب الأوروبية ولما تلتها الرومانسية تحول الى الرومانسية ثم الى الواقعية تبعا لصيرورة الآداب الأوروبية واقعية .

ماذا ترتب على أن تكون الثقافة عندنا صورة مقلدة للثقافة الأوروبية بدلا من أن تكون نبات أرضها ؟
ـ انعدام الصلة بين عدد من الفنون وبين السواد الأعظم من الناس لأن هذه الفنون لم تتوخ ان تخاطبهم ، ولم تمنعها غضاضة من أن تتعالى عليهم ، وبقيت مكتفية بعدد قليل من الذين لهم اطلاع في الثقافات العالمية .
ـ تطامن الأدب فقل نتاجه ، وضاقت مساحة انتشاره لفقده الألفة التي تصله بالمواطن العربي القادر على القراءة .
ـ عزل الشعر نفسه عن مجال التأثير عزلا تاما بعد أن تحول الى ما يشبه همهمات المختلطين .
ما الذي يملأ الفراغ الآن وينفذ تأثيره الى الناس على اختلاف مستوياتهم المعرفية ؟ الصحيفة اليومية « المذياع » « التلفاز » « السينما » والمسرح الخ .
فماذا تقدم للناس كل هذه القنوات الثقافية ؟ إن هذا السؤال ينقلنا الى البعد الآخر من بعدي التبعية الثقافية بدعوى المواكبة ، في حين لا ننكر أنها تقدم قدرا مفيدا له أثره في التنوير إذ نجد أن هذا القدر لا يقترب مما تقدمه تقصد به الى الالهاء أو ما يميع الأخلاق ويميت النخوة ، أو يلتف التفافا ناعما عا التقاليد العربية والقيم الاسلامية واستبدال تقاليد وقيم أوروبية بها
فما أكثر أن ندرك ونحن نتابع ما يقدمه « التلفاز » من مسلسلات تمثيليه وأفلام تبين مدى الالحاح على إن تستقل ارادة الفتاة العربية ، بحيث يكون لها اختيار متحرر من ضغوط اسرتها لا سيما فيما يتصل بزواجها فما

المحتوى التمثيلي المفضل والذى يمر من خلاله توجيهها ؟ فتاة تحب شابا بعد عدد من اللقاءات به دون علم أسرتها ، وبعد أن تتفق معه على الزواج تفاجىء أهلها بأنه سيحضر لخطبتها ، وبأنها مقتنعة بالزواج به وهذا يكفي لاجابته الى طلبه ، وفي العادة يثور اهلها لتصرفها الذي لا يقره العرف ، وعند ذلك تهرب الفتاة الى الشاب ليتما الزواج منفردين .

أما علامة نضج الشاب وبلوغه الرجوله فهي أن يقف أمام والده يصرخ في وجهه ملوحا بيده في عصبية شديدة ويقول له « لم أعد صغيراً ولن تفرض على شيئا بعد اليوم »

كما اننا ندرك مدى الالحاح على أن يأخذ المجتمع بالأعراف الأوروبية من كثرة عرض هذه الصورة والتزامها في كل مرة تتعرض فيها حكاية التمثيل لحفل يقيمه عربي في بيته داعيا إليه اصدقاءه وزوجاتهم وهو يلقاهم مرحبا يشاركه بنوه وبناته الذين في سن الشباب ، وعندما يجتمع الشمل ينقلب البيت (العربي) الى منتدى للفجور المتألق ، فتلقى الخمر فرصة فسيحة للعب بالعقول ، وإلى هذا وأمثاله من السلوك الغريب على الطبيعة العربية يتم توجيه الناس بدعوى مسايرة الحياة العصرية .

ولقد تابعت لعدة شهور صفحة مخصصة لتثقيف المرأة تقدمها إحدى الصحف اليومية مرة كل أسبوع ، فلم أجدها تخلت مرة عن أن تشغل كل مساحتها بعدد من الصور الاستفزازية للنساء الأوروبيات تجاوز في إحدى المرات العشرين صورة وذلك بقصد ان تحتذي القارئه ما يحلو لها من هذه الصور في زيها او طريقة تصفيف شعرها أو تزييف رموشها ، أو غير ذلك وهو كثير ، وكأن الصفحة تعد للباريسيات لا للعربيات المسلمات .

تلك مجرد أمثلة لتوجهات الثقافة وتوجيهها ، ولن نستطيع ولو حرصنا ـ أن نستقصي كل ما تدفع به الثقافة الحالية الفرد العربي الى الأخذ بمظاهر الحياة الأوروبية مغرية إياه برموزها ـ وهي في الغالب رموز مادية ـ معمقة في وجدانه أن حسبانه متحضرا متوقف على عنايته بهذه الرموز ، وأن منزلته بين الطبقة الوجيهة في المجتمع يحددها نصيبه من امتلاكها .

لا عجب أن قطاعات كثيرة في المجتمع العربي انسلخت من جلودها العربية أو تكاد وانقطعت الصلة بينها وبين اصولها وأصالتها ، ولم يبق لها مما تمت به إلى مواطنها الا سحنة متميزة ، وبيانات في بطاقة تحقيق الشخصية ولغة الحديث .

ولا عجب أن الصراع المحتدم الآن ، والذي يرجع إليه فقدان الثقة بين الناس بعضهم وبعض ، بل خراب الذمم ، وكثرة الجريمة ، وغير ذلك مما لم يكن للمجتمع العربي به عهد صراع على مظاهر الحياة الأوروبية التي حاصرت الثقافة بها قلوب وعقول الناس ,

ومن المؤسف أن العلاقة بالدين ـ نتيجة لهذا الصراع ـ آلت إلى مجرد الأداء الظاهري للشعائر ، وتناسى الناس ـ إلا من رحم ربك ـ استلهامه في سلوكاتهم وفيما ينخرطون فيه من مناشط الحياة .
وبقيت كلمة ولعلها ليست أقل أهمية مما فات .

إذا كان محزنا أن الثقافة أوروبية المنتمى أوروبية التوجهات فإن الأحزن منه أن بعض المشتغلين بها ينصبون من انفسهم غزاة ثقافيين بدل الغزاة الأوروبيين ، ويضطلعون بدور حقدة المستشرقين في تقويض الثقة بمصادر الحضارة الاسلامية ، وفي التعفية على أعز ما نعتز به من المواريث فمنذ زمان دعا أحدهم الى اطراح اللغة العربية واستبدال لغة أوروبية بها ، وهو يصفها اي اللغة العربية ـ بأنها اللغة الخرساء ، وحجر العثرة في طريق التحول الى المجتمع الديمقراطى . وأنها اللغة المفضية الى الجريمة وإلى التصورات الجنسية الدنيئة والى الجنون ذلك مع اقتراحه ان يكون غطاء الرأس للمواطن العربي هو « البرنيطة » الأوروبية بدل العمامة أو الطربوش ، بينما يذهب آخر الى أن ذكر القرآن الكريم لابراهيم وإسماعيل عليهما السلام لايكفي لاثبات وجودهما .
كان ذلك منذ زمان كما ذكرت فهل توقفت السهام ؟ كلا .. إنها متواصلة وكلما توقف رام قام مقامه رام جديد وأحدث الحلقات في مسلسل هدم مقدساتنا كان رأيا نشره في الصحف منذ وقت قريب واحد من كبار الثقافيين مؤداه أن رسالة الاسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم خاصة بالعرب لا يكلفها غيرهم من الناس ، ومن قبل هذا الرأى كانت الدعوة الى علمانية المجتمع اي تحجيم دور الدين ، وإبطال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الى جانب هذا الفريق الذي يلجأ الى الطرق الصاخبة في تخريبه بقصد بلبلة أكبر عدد من الناس ، فريق آخر يخرب في صمت متحصنا بمعاهدنا العلمية التي يعمل بها ، وهو يزيف باسم حقائق العلوم .. علوم النفس او علوم الاجتماع أو غيرها مما يتعرض له كثرة ليست لهم الا خلفية في المعارف الاسلامية ضعيفة من أبنائنا الطلاب .
هذا كتاب لواحد من هذا الفريق (على سبيل المثال) موضوعه الطفولة والمراهقة يتحدث فيه عن التنشئة الصحيحة للأطفال حديثا مطولا يتلخص في اننا لكى ننشىء الأطفال تنشئة خالية من العقد النفسية علينا ان نزيح من طريق تربيتهم المعميات التي تعارف المجتمع على عدم الاقتراب منها بوصفها من العيب ، وقد اتى بمثال لهذه الازاحة المقترحة يستحى المرء أن يحكيه عنه ، وأبسط ما يوصف به انه مناف لما طبعت عليه مشاعر الانسان نحو أبيه وأمه ، وهي المشاعر التي توخت المحافظة عليها الآية الكريمة :

« **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم** » سورة النور آية / ٥٨ .

أما هذا فكتاب آخر في علم الاجتماع وهو يقول تحت عنوان جانبي هو « صعوبة استبدال بعض العادات والنظم بغيرها » « وفي الاسلام كذلك نجد في شعائر الحج كثيرا من الشعائر التي كانت متبعة في الجاهلية كتقبيل الحجر الأسود ورمي الجمرات الخ . وقد احتفظ الاسلام بها لصعوبة استبدالها بغيرها ولارتباط هذه العادات ببعض العواطف النفسية .

أي كأن الاسلام الذي اقتلع بقوة إقناعه تأليه الأصنام من نفوس العرب عجز عن أن يقنعهم بترك الشعائر التي كانوا يتقربون إليها بها ، فلم يسعه إلا أن يتملقهم فيضمها إلى شعائره ، ثم .. لكأن المسلمين لم يكن دخولهم في الاسلام ولا بقاؤهم فيه عن اقتناع حقيقي به لأن قلوبهم ظلت برغم ذلك أسيرة لتدين الجاهلية .

ويقول الكتاب ايضا « وقد كانت الأديان والعقائد نفسها عرضة للمقاومة الشديدة وتعرض الأنبياء والرسل لأنواع مختلفة من الاضطهاد والعسف ، ويكفي أن نذكر ما تعرض له المسيح من اليهود وكيف أنهم صلبوه في النهاية » .

وهكذا نجد ان الكتاب ـ ومؤلفه مسلم ـ يعدل الى عقيدة الأوروبيين عن عقيدة الاسلام فيما يختص بصلب المسيح عليه السلام مع استبعاد جهله بالآية الكريمة .

« **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » سورة النساء آية / ١٥٧ .

هذا فإذا لاحظنا أن المؤلف لم يكن مضطرا أصلا الى الزج بالاسلام فيما خاض فيه تبين لنا كيف أن مخالفة الثوابت الاسلامية على هذا النحو أمر مقصود .

على أن هذا وأمثاله يتذرعون لما يصدرون عنه بأن كل إنسان له رأيه ، وهو حر فيما يرى ، وهذا حق .. حق يوجبه العقل فضلا عن أنه يقره القانون ، أما الاسلام فإن موقفه من كفالة الحريات على اختلافها لايدانيه موقف ، لكن هل لأحد كائنا من كان أن يرى في القرآن الكريم مخالفا صريح نصوصه وواضح معانيه ؟

ثم .. إن لكل إنسان أن يرى ما يشاء لنفسه ، وله أن يبنى على مايراه مواقفه فيختار اليمين أو الشمال ، وهو وحده يحمل مسؤوليته ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لكن أله أن يزلزل في مقال أو في كتاب عقائد الناس ، أو يلبس عليهم دينهم ؟

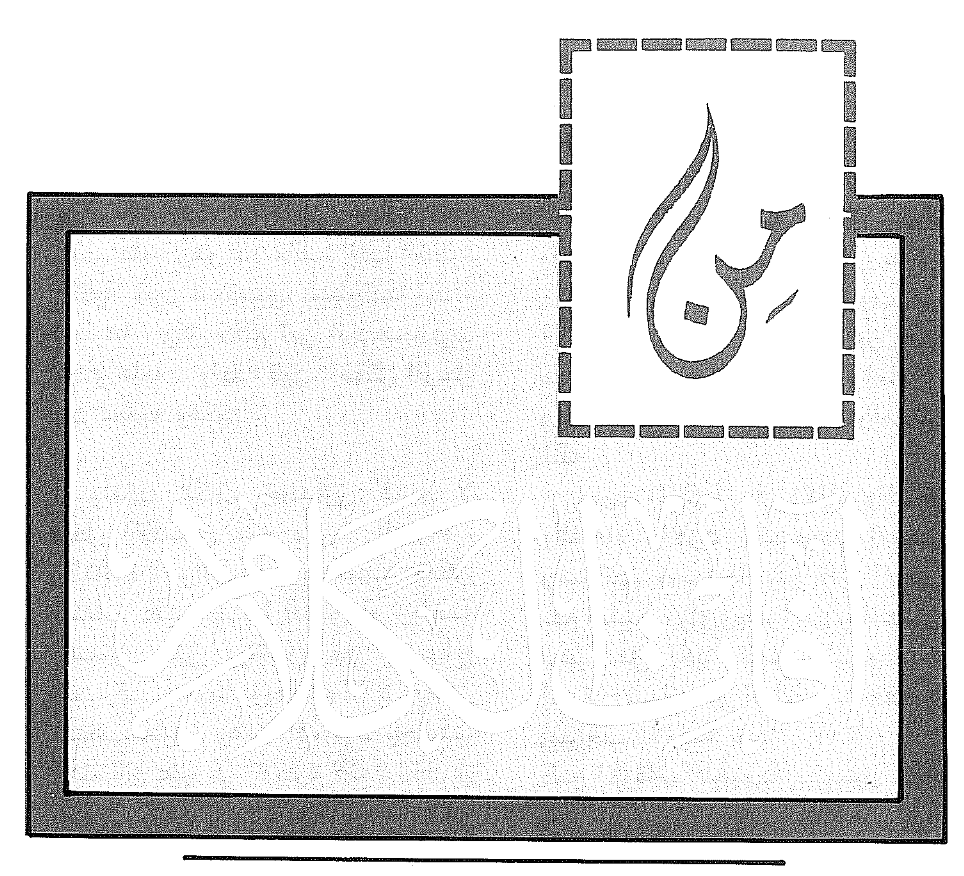
أليس إن فعل ذلك يكون قد تجاوز معنى الحرية الى معنى آخر هو السعي في الأرض بفتنة وفساد كبير ؟ أليس ذلك ما تعويه مقاييس الواقع المطبق في كل مكان ؟ فإن أي شخص لا سلطان لأحد عليه أن يرى رأيا مخالفا للخط السياسي لحكومته « مثلا » وهو لا يزال بخير ما بقى رأيه حبيس ما بينه وبين نفسه ، أما حين يعلن ذلك في منشور يقوم بتوزيعه على الناس من منطلق أنه يمارس حرية الرأى ، فلن ينفعه هذا التبرير . إن المشكلة أن الاسلام وهو يرفض نظام رجال الدين « الاكليروس » استخدم ديمقراطيته هذه الصالحون والقاسطون ، ومن عجب أن من يشككون في الاسلام يحتجون لجرأتهم عليه ، وغمزهم فيه بأنه أي الاسلام اعطاهم حق البحث والاستنتاج أي أنهم يستعينون بالاسلام لتبرير الاضرار بالاسلام .

وفي الحياة توجد تخصصات : ولكل فن من فنون الأعمال مجيدون يستشارون في دقائقه ، ورابطة تغار عليه من الأدعياء كما جرت العادة بألا يقحم إنسان نفسه مهما كان حظه من الذكاء على غير تخصصه الا في علوم الدين فإن ادعاء معرفتها والجرأة على الدين عن طريق التنطع فيها مما صار ميدانا يتسابق فيه هواة الظهور والمتاجرون بالقيم والمتدينون « بالأيدولوجيات » وغيرهم ، وإن غيرهم لكثير .

وبرغم أن لدينا علماء في الاسلام وهم الأحق بالبحث فيه والحديث عنه نجد أنهم مبتلون بهذه الكتلة من المغرضين ، فكلما تصدى أحدهم لرأى معوج أو دعوة جانحة سرعان ما يلجئون الى التهييج ضده متصايحين :

حسبك .. لقد انقضى عهد الارهاب الفكري ، كأن كل عالم من علماء الاسلام يستخدم ضدهم سلاح الارهاب الفكري الا أن يوافقهم على أن الاسلام ليس الا مسارعا في هواهم ، وهو يبارك لهم كل ضلال ، ويجعل لهم حلالا ما هو غير حلال ، وما أسهل ان تجد الواحد منهم يرد إذا قيل له اتق الله بالشتم البذيء والتسفيه الوقح خارجا على منطق العقل ومرعى الأخلاق .

إننا نتساءل : أليس متناقضا أن نخوض الحرب غيرة على حدود الأرض بينما نفرط في حدود هويتنا ، ونصطنع رموزا كالراية نحوطها بأسمى مشاعر الاعتزاز ونستهين بكل رموزنا المعنوية .. والى متى ؟!



للأستاذ / محمد محمود متولي

ضبط الألسنة أمر حض عليه الشارع الحكيم ، لأن الألسنة السائبة بلا كوابح تكبحها تودي بأصحابها إلى الهلاك ، ولذا فليس على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان،ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، وخير الكلام ما قل ودل ، وإذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، والاسلام يكره أن يكون الكلام بلا روية ، ودون تفكير سابق فيما يراد قوله ، وأكثر الناس يتكلم عفو الخاطر ، فإذا دققت معه فيما فاه به ، اعتذر عما قاله ، أو اتهمك بأنك متشدد في التدقيق على الكلام العادي ، وتلك خصلة ذميمة فإن الدين والعقل يحضان على قلة الكلام ودوام التفكر وقد قال الحسن البصري : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فإذا همَّ بالكلام تكلم به له أو عليه » .

والعاقل هو من يطيل الاستماع ويقلل من الكلام ، وليت المسلمين يتواصون بترك الثرثرة وضبط الألسنة وقد قيل : كان أعرابي

يجالس الشعبي ، فيطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته ، فقال : « أسمع فأعلم وأسكت فأسلم، فمن الذي علمه وهو غير عالم ؟ إنها الفطرة النقية حين تستجيب بسليقتها لنداء فاطرها ، وكل كلام ابن آدم محسوب له او عليه » ولهذا قيل : مقتل الرجل بين لحييه وفكيه .

وآفات الكلام قسمان : قسم لا دخل للانسان فيه مثل : الفأفأة ، والتأتأة ، واللثاغة وبعضها يمكن التغلب عليه بضبط النطق أو رياضة اللسان حتى يرتاض على إخراج الحرف سليما وبعضها لا يمكن التغلب عليه ، وهذا القسم لا يحاسب الانسان عليه في الآخرة لأنه داخل في تحميل الانسان ما لا طاقة له بتحمله ، ولكن المسئولية عليه تدخل في نطاق الحكم الفقهي له وقد قيل فيه : « ومن شروط الامامة صحة لسانه ـ أي الامام ـ بحيث ينطق الحروف صحيحة ، فإن كان يبدل الراء غينا ، أو السين ثاء ، أو الزاي ذالا ، فلا تصح إمامته إلا لمثله ، ويجب عليه الاجتهاد في تقويم لسانه ، أو القراءة من المواضع التي يستقيم فيها لسانه بالقرآن ، فإن قصر مع قدرته بطلت إمامته لمثله ، بل بطلت صلاته ، وإن عجز عن تقويم لسانه صحت صلاته ، وإمامته لمثله .

اما التمتام وهو : الذي يكرر التاء في كلامه ، والفأفاء وهو : الذي يكرر الفاء فإمامتهما صحيحة لغير من يماثلهما مع الكراهة .

ويرى الأحناف أنهما مثل الألثغ في عدم صحة إمامتهما إلا لمثلهما .

وأما الأرت وهو : من يأتي بالادغام في غير موضعه ، كأن يقول : «المتقيم» بدل «المستقيم» فيجب عليه الاجتهاد في إصلاح لسانه ، فإن قصر مع القدرة بطلت صلاته وإمامته ، وإن عجز صحت صلاته وإمامته لمثله .

ويرى المالكية : أن الألثغ والتمتام والفأفاء والأرت ونحوهم إمامتهم وصلاتهم صحيحة ولو كان المقتدى بهم سليما ، ولو وجدوا من يعلمهم ولا يجب على احد منهم الاجتهاد في إصلاح لسانه على الراجح ـ الفقه على المذاهب الاربعة حـ١ ٣٠٧ ، ٣٠٨ طبع الاوقاف المصرية ـ ويميل القلب إلى أنه متى وجد سليم اللسان فهو أولى من سقيمه ولكن هذه الآفات مما لا يؤاخذ عليه الانسان لأنها عيوب خلقية كمن ولد أعمى أو قصيرا أو افطس الأنف ... الخ وهذا مما لا دخل للانسان فيه .

فأما ما للانسان فيه دخل من آفات الكلام فمنه :

١ ـ ما يتعلق بعمل اللسان من تفاصح في الكلام وتشدق به وتزييف لوضيع الاغراض والأهداف بإلباسه من الألفاظ ما لا يستحقه وقد ذم الرسول صلى الله عليه وسلم اصنافا شبيهة بالتفاصح من تفيهق وثرثرة وتكلف ، ونحن نلمس ذلك في كثير من المتكلفين حيث يتعمد تزويق اللفظ وتنميقه دون ان يكون وراءه اخلاص القلب لله ولا

الرغبة في نصرة دين او مبدأ ، إنما وراءه المباهاة ومسابقة الأقران ... الخ ، ومن التكلف ادعاء علم مالا يعلمه وقد قيل : من علم فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم،والتقعر في الكلام هو ملء الشدقين به وتكلف السجع والفصاحة مما جرت به عادة المتفاصحين من متصنعى الخطابة وكل ذلك مذموم .

ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : نهينا عن التكلف .

وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » اخرجه أحمد والترمذي والثرثار هو الكثير الكلام تكلفا ، والمتشدق هو المتكلم بملء شدقيه تفاصحا وتعاظما واستعلاء على غيره ، وهو بمعنى المتفيهق ، كما يشبه هذه العيوب ما يسمى بالتنطع وهو التعمق والاستقصاء .

وقد روى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها » رواه احمد. والتخلل يلاحظ كثيرا على المتكلفين الذين لا يتركون انفسهم على سجيتها فيأتي كلامهم مملولا وتفاصحهم مرذولا ، وقد لا يسعفهم التصنع فيظهر ما خبئه من عيٍّ وعجز وحينئذ يبوءون ببغض الناس لهم وعيبهم طريقهم ، وتلك آفة يمليها الشيطان لبعض الناس فيسيئون حيث يظنون انهم يحسنون .

وقد قال عمر رضي الله عنه : « شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان » والعرب إنما يحبون الفصاحة غير المتكلفة ولذا يقول الجاحظ في البيان والتبيين : « وهم ـ اي العرب ـ انما يحبون الطلاقة والبيان ... ويكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار ، لما فيها من التزيد والمباهاة واتباع الهوى .. » وهم يذمون الخطيب المتكبر المدعي لمعرفة كل شيء .

٢ ـ ومنه فضول الكلام ، وهو بلاء يصل الانسان إليه عندما لا يكون حاذقا بمعرفة العلاقة بين الكلمات ومعانيها ، او مريضا بالرغبة الملحة في الكلام وهو ما يطلق عليه على سبيل التشبيه « سلس الكلام » تشبيها له بسلس البول ، وفضول الكلام كما يعرفها الامام الغزالي في الاحياء هي :

الزيادة فيه على ما تدعو الضرورة إليه ، فإن تأدى المقصود بكلمة فلا يؤديه في كلمتين ، لان الثانية فضول ،

وقد قال تعالى « **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** » ق : ١٨

كما وردت الاشارة في القرآن الى الاغراض التي يجوز القول فيها فقال تعالى : « **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** » النساء : ١١٤

ونحن نلمح فضول الكلام في مدح المداحين حيث نرى التزيد واضحا

والمبالغة ظاهرة ، كما نشاهد ذلك في إجابات بعض المتحدثين على اسئلة

السائلين ، فنقرأ اونسمع ما يحتاج في الجواب الى نعم فقط أو لا فقط وقد نسجت حوله ذيول وحشو كثير وقد يكون لا جواب فيه وقد قال

ابراهيم النخعي : « إنما يهلك الناس في فضول الكلام وفضول المال » .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « انذركم فضول كلامكم ، حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته » .

وقال الحسن البصري : « يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ، ووكل بها ملكان كريمان يكتبان اعمالك ، فاعمل ماشئت واكثر او أقل » .

٣ ـ ومنه تدخل الانسان فيما لا يعنيه وهي آفة وإن كان اللسان يترجم

عنها ، إلا أنها تدل على الرغبة في التدخل في أحوال الخلق ، ودس الأنف

في غير ما تدس فيه والانشغال بمالو أراح الانسان نفسه من التدخل فيه

لأراح واستراح ، وهو مرض يصاب به كثير من أصحاب البطالة ممن

لايوجد مايشغلهم ويستهلك وقتهم وجهدهم ، كما يصيب كثيرين من الفاقدين لتقوى الله تعالى ، الذين لايفكرون في سوء المنقلب الذي ينقلبون إليه لأن التدخل في غير ما يعني صاحبه يعرضه للعذاب وان قتل

شهيدا في سبيل الله .

فعن انس رضي الله تعالى عنه قال : استشهد رجل منا يوم أحد ، فمحست أمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك يا بني الجنة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مايدريك » ؟

« لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويمنع ما يضره » رواه ابن ابي الدنيا وابو يعلى واحمد والطبراني بمعناه ورجال احمد ثقات .

والانسان المسلم يفترض ان يشغله اسلامه عما لا يعنيه ، وقد روي ابو هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي وقال : حديث غريب ورواه ابن ماجه .

والانسان الحاذق هو الذي يدرك ، أن تحميل نفسه بما لا يجب عليها تحمله ، من عيب ما لا يعاب من صفات وتصرفات الناس ، هو مما يؤرق ليلها، ويشغل نهارها ، بما لافائدة تعود عليها منه ، وهو مستغن عنه ، لانه مما يضيع الوقت ، ولا يسلم الانسان فيه من زلات اللسان ، فيستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير ، وصرف الوقت في العبادة والتأمل وطلب العلم والعناية بالاولاد والأهل افضل من العناية بغير مايعنى .

وقد حدد الامام الغزالي مالا يعني بقوله : « وجد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكلام ، لو سكت عنه لم تأثم ،

ولم تستضربه ، في حال ولا مال وذلك مثلما يتحدث الانسان عن مشاهداته في أسفاره ، والوقائع التي حدثت فيها ، وما يستحسنه من الأطعمة والثياب ... فهذه امور لو سكت عنها لكان افضل ، لما يجره الحديث من زيادة أو فخر ومباهاة او كذب ، وقد يكون الدافع إليه الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه ، او المباسطة بكلام على سبيل التودد ، او تزجية وقت الفراغ بما لا فائدة فيه من حكايات ، وقد كره الاسلام قيل وقال وجعل زعموا بئس المطية لأنه لا يرجي من وراء زعموا فائدة».

وقد نهي القرآن الكريم عن السؤال عما لا يحتاج المرء الى معرفته فقال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء إن تُبْدَلكم تسؤكم** » المائدة : ١٠١ يقول الامام ابن كثير معلقا على هذه الآية « هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها ، لانها إن أظهرت لهم تلك الأمور ، ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها .

وما لا يعني يشمل ما السكوت عنه افضل من التحدث به من أحوال النفس والناس وما لاتدعو الحاجة إليه من أمور تتعلق بالذات الالهية او القدر او الرزق أو الروح وهناك اشياء كثيرة يسلم الانسان بها ولا يتعرف على كنهها لاستحالة إدراكه لها ويجمع الـهـ عما سبقت الاشارة إليه قوله صلى الله عليه وسلم :
« إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » رواه الدار قطنى والبزار والحاكم والترمذي وابن ماجه .

والاسلام يرمي من وراء تحريم تلك الأمور السابقة توفير الأوقات والجهود والعقول لعمل عمل من ورائه فائدة للفرد والمجتمع ، وان يترك الانسان نفسه على سجيتها لأن التكلف كذب على النفس وعلى الناس

وقال ابن مسعود : (ان هذه القلوب أوعية ، فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره) والمسلم الملتزم يجعل صمته فكرا وحديثه ذكرا ونظره عبرة ، وحين تفلس النفس من معالى الأمور تنشغل بسفاسفها ، وكم من كلمة ذهبت بصاحبها الى الجنة وأخرى هوت بصاحبها إلى النار ، والسعيد من ضبط لسانه .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ، ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات في الجنة ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم » رواه مالك والبخاري



بين سرقتين

للاستاذ / جمال سلطان

يمثل التراث الاسلامي ، على صعيد المقارنات التراثية الانسانية ، التحدى الحقيقي ، وربما الوحيد ، الذي واجهته ـ ولما تزل ـ الحضارة الأوروبية الحديثة ، وتراثها الانساني الذي تعتز به .

فلقد كانت كافة التراثات الانسانية الأخرى ، والتي تعاطت معها أوروبا في الحديث ، مزيجا من فنون وتعبيرات نفسية عفوية تجاه مظاهر الطبيعة ، وتحدياتها ، تراكمت عبر القرون ، في ذاكرة مجتمعاتها ، لتشكل نوعا من « الفلكلور » الشعبي ، أو العرف القبلي ، ومن ثم : فقد كانت لا تشكل تحديا حقيقيا للخصوصية الحضارية الأوروبية ، التي جهدت طوال القرنين الماضيين ، في نشر معطيات خصوصياتها التراثية والحضارية ، على الواقع الانساني كله ، بدءا من الديانة والعقيدة ، وانتهاء بنمطية الحياة الخاصة على مستوى الانموذج الفردي للانسان ، مرورا بانموذجها الاجتماعي ، على مستوى النظم والتشريعات والسياسات والمواضعات القيمية ونحو ذلك .

ولقد تمت عمليات « السيطرة » الحضارية ، والتذويب الثقافي ، بفعل مجهودات منسقة ، بين جماعات التبشير ، وحركات الاستشراق ، وقوى الاستعمار السياسي والعسكري ، ثم انتقلت هذه العملية اليوم ، إلى مؤسسات رسمية ضخمة ، أكثر دقة وتخصصا ،

وأوسع حيوية وانتشارا ، وأخفى مسلكا وطريقة .

أما التراث الاسلامي ، فإنه يتميز بخصوصيات ذاتية في تكوينه ، تجعله مباينا لهذه التراثات الانسانية جميعا ، بما فيها التراث الانساني الاوروبي ، فهو تراث ، تتصل منابعه الأولى بوحي إلهي ، متكفل الحفظ ، ومضمون الحياة ، ومن ثم ، فقد جاءت كافة النتاجات الانسانية في هذا التراث ، تحمل نبضا من هذه الحياة ، ومن تلك « الخصوصية » الربانية ، حتى تلك النتاجات التي تنحرف ، او تناقض أصل الفكرة ، الاسلامية ، فهي ـ أيضا ـ دائرة في فلك الاسلام الروحي والثقافي ، وهي على الرغم من مخالفتها للأصل ، إلا أنها مستقطبة ـ لا إراديا ـ إلى نفس الاشكاليات الانسانية التراثية ، التي تمثل في النهاية والإجمال ، خصوصية إسلامية .

وهذه الروافد الربانية في التراث الاسلامي ، تجعله تراثا غير قابل للموات التاريخي ، تحت أي ظرف كان .

ثم إن التراث الاسلامي ـ من جانب آخر ـ يمثل منظومة حضارية انسانية متكاملة ، وفلكا ثقافيا وفكريا مستقلا ، فهو ليس مجرد توافقات نفسية وروحية وعقلية ، مثلت ردات فعل تجاه مظاهر الطبيعة ، ثم تراكمت فصار منها « تراث » ، وإنما هو ميراث « منظومة حضارية » ، صدرت عن إرادة انسانية واعية ، ورؤية انسانية شمولية ذات أصول ربانية ، ومنهجية متكاملة ، مضبوطة وراشدة ، وهذه الخصوصية ، جعلته تراثا غير قابل للذوبان في أي منظومة حضارية أخرى ، أو فلك ثقافي آخر .

كما ان التراث الاسلامي ـ من جانب ثالث ـ تراث يمثل وجودا حضاريا انسانيا تاريخيا كبيرا ، هيمن على مسارات الحركة الانسانية المدنية والمعرفية والثقافية ، لقرون متطاولة ، قبل ان يدخل مرحلة الجمود الأخيرة ، فهو ـ إذا ـ تراث انساني نشأ معظمه ، في ظل مناخ نفسي استعلائي قوى ، يدرك انه « محور » في التاريخ الانساني ، ان لم يكن هو « المحور » ، وأنه « رائد » في المسيرة الانسانية ، إن لم يكن هو « الرائد » ، وهذه « الروح » التي ولد في ظلالها النفسية ذلك التراث ، جعلته نمطا من العطاء الانساني ، غير قابل للتهميش ، وغير مستعد ـ بطبيعته ـ لأن يكون « تذييلات » على « متون حضارية أخرى » مهما كانت ، وبكلمة ؛ فقد جعلته هذه « الروح » غير قابل للدخول في مسالك « التبعية » الحضارية ، لأي نتاج حضاري انساني آخر .

هذه حقائق ثابتة عن التراث الاسلامي ، يدركها ـ تمام الإدراك ـ العقل الأوروبي الحديث والمعاصر ـ ويدرك معها الفرق المميز لهذا التراث ، عن أي تراث إنساني آخر ، حتى أثر عن الحكيم الانجليزي « صمويل جونسون » ، قوله « إن تراث الاسلام والمسيحية ، على

الصعيد الانساني ، هما الجديران بالعناية ، وما دونهما فهو بربرية » ! وهذه الحقائق ـ ايضا ـ هي التي وجهت « المجابهات » التاريخية بين التراثين الاسلامي والأوروبي ، إلى طرائق خاصة ، في التعاطي أو السيطرة أو الغزو أو الاستلاب ، وهي ـ كذلك ـ التي طبعت « التقابل » بين التراثين ، بمسحة واضحة من الحذر والعصبية ، حتى لو جاء هذا « التقابل » تحت شعار « الحوار الحضاري » الذي حاوله بعضهم مؤخرا .

● **السرقة التراثية الكبرى** : بدأت محاولات السيطرة الأوروبية الحديثة ، على التراث الاسلامي ، وفق تخطيط هادف ، منذ نهايات القرن الثامن عشر ، عندما انتشرت مجموعات من الباحثين والمتخصصين « المستشرقين » الأوروبيين ، في ربوع العالم الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، ينقبون عن مخطوطات التراث الاسلامي ، على مختلف مجالاتها ومصادرها ، لعل أضخمها ، تلك المجموعة الكبيرة ، والبالغة الدقة في التنوع والتخصص ، التي حرص القائد الفرنسي « نابليون بونابرت » على استقدامها معه إلى « مصر » ، تحت ستار « تنوير المجتمع المصري » فاستولت على كميات كبيرة من ذخائر التراث ، منها ما استفاد منه « نابليون » نفسه ، في نظامه القضائي التشريعي كما يأتي بيانه .

ومن الهند ، والجمهوريات الاسلامية في جنوب الاتحاد السوفياتي ، وايران ، والعراق ، ودمشق ، والقدس ، وعسقلان ، واليمن ، والقاهرة ، والقيروان ، وقسنطينة ، وفاس ، وغيرها من مدائن الاسلام ، تسربت مخطوطات التراث ـ في غفلة من الأمة ـ إلى باريس ، ولندن ، وبال ، وبرلين ، ولاهاي ، وغيرها من المراكز العلمية الأوروبية ، التي كانت تمثل قواعد النشاط الاستشراقي في ذلك الحين ، لينتقل معها ـ تلك المخطوطات ـ العقل التاريخي للأمة ، والجزء الأكبر من ذاكرتها التراثية المدونة .

● **أهداف السرقة** : هدفت هذه السرقة الكبرى ، إلى تحقيق أمرين أساسيين ، كانت تحتاجهما أوروبا في اللحظة التي برز فيها ذلك النشاط العلمي غير الأخلاقي ، الأمر **الأول** : هو إثراء النشاط الفكري والعلمي والأدبي ، في أوروبا عصر الأنوار ، التي تحللت من الهيمنة الكنسية مستشرفة آفاقا حضارية بعيدة ، فكان هذا « السطو » الذي قام به المستشرقون على تراث الاسلام ، ونقول « السطو » ، لأن عملية النقل قد تمت بطريق غير مشروع أصلا ، ثم إنها حدثت دون إثبات لحق أصحابه أو إثبات لجميلهم الانساني ، بل إن عملية النقل قد تمت دون الاشارة إلى « مجرد » وجود أصحاب هذا التراث في تاريخ الانسانية ، والشواهد على ذلك مستفيضة ، وقد باتت مشتهرة اليوم ، حتى عند الباحث الاوروبي المعاصر .

إن رجالات التاريخ ، يدركون تماما ، ان العلماء المسلمين ، هم

مؤسسو « **المنهج العلمي** » في البحث التاريخي ، ولم تعرف امة من الأمم ، هذه الدقة العالية ، والحساسية النقدية الهائلة ، من جمع المادة التاريخية « الحية » وضبطها وترشيحها واستخلاص المناهج العلمية من خلال التجريب والملاحظة والقياس والمقارنة ، مثلما قام به العلماء المسلمون ، والمتأمل في المنهجية الأوروبية التاريخية ، لا يخطىء عقله وبصيرته ، ذلك الاتفاق بين المنهجين ـ في مجال المادة الحية ـ بحيث يكون من المحال ـ في طبائع الأمور ـ ان نفترض عدم تأثر اللاحق منهما بالسابق ، ورغم ذلك ؛ لا نكاد نجد في إشارة « عابرة » لدي باحثي أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وعمر من القرن العشرين ، اي ذكر لشيء اسمه « مساهمة اسلامية » في مجال علم التاريخ ، ومناهجه النظرية والتجريبية .

ومما تكشف اليوم ـ ايضا ـ ان القانون المدني الفرنسي ، الذي وضعه « نابليون » ، قد نقلت « أصوله » ، والكثير المستفيض من مواده القانونية ، عن الشرح الكبير للشيخ « الدردير » المصري على « مختصر خليل » في الفقه المالكي ، ومما تكشف ايضا ، ان قاعدة « المنع من التعسف في استعمال الحق » ، والتي أثار بها الفقهاء الألمان إعجاب العالم وأحرزوا بها سبقا فقهيا ، هي قاعدة اسلامية اصيلة ، وكشفت ابحاث عديدة « أصول » الألمان فيها ، والتي نقلوها عن الفقه الاسلامي .

ويطول المقام إذا حاولنا الاستقصاء في هذا المجال ، كما في مجالات علوم الطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها ، هذا فضلا عن التعتيم الواسع ، الذي فرضه الباحثون الأوروبيون ، على السبق التراثي الاسلامي في مجال الدراسات الانسانية ، مما قدموه هم على انهم أصحابه والسابقون اليه ، مثل « علم الاجتماع » بل وصل الأمر الى حد الابداعات الأدبية الفكرية ، مثل « الكوميديا الإلهية » « لدانتى » ، والتي ثبت ـ فيما بعد ! ـ تأثره فيها ـ إن لم نقل نقله ـ « رسالة الغفران » لأبي العلاءالمعري ، والترجمة التي نقلت بها قصة الإسراء والمعراج الى أوروبا في قرونها الوسطى .

أما الأمر **الثاني** ، الذي هدفت إليه تلكم السرقة الكبرى ، ولعله الأخطر والأهم ، فهو السيطرة على اتجاهات الفكر الاسلامي الحديث ، وتوجيه طلائع النهضة نحو مجالات فكرية محددة ، وأصول تراثية معينة ، تخدم في مجملها المذهبية الأوروبية الحديثة ، حيث تشكل هذه الأجزاء التراثية « المنتقاة » توطئة نفسية وتراثية ، لنفاذ المذهبية الأوروبية ، في ذهن المثقف الاسلامي الحديث ، ولا سيما مجموعات الدارسين ، الذين استجلبوهم من مختلف الأقطار الاسلامية ، للدراسة في مراكزهم العلمية ، وقد ظهرت نتائج هذا « التوجيه » الخفي ، في صورة انفجارية ، من خلال بعض الدراسات والأبحاث التي أثارت اللغط والذهول

في وقت مبكر من هذا القرن ، مثل كتاب « على عبدالرازق » الشهير « الاسلام وأصول الحكم » وكتاب الدكتور « طه حسين » : « في الشعر الجاهلي » .

إن الأمر - باختصار - هو أن المستشرقين ، قد نجحوا في إعادة ترتيب العقل الاسلامي الحديث ، وفق منهجية فكرية وإنسانية جديدة ، من خلال إبراز أجزاء تراثية « منتقاة بدقة » ، ساعدهم على ذلك ، أنهم كانوا يملكون الذاكرة التاريخية للأمة على الحقيقة ، من خلال سيطرتهم على القسم الاكبر من تراث الاسلام الذي نقلوه في غفلة من الأمة .

وحرى بنا ان نشير - في هذا المقام - أن هذا الهدف الاستشراقي البالغ الخطورة ، مازال تصورنا عنه - في غالبه - مجرد ترتيبات منطقية لمسار الأحداث ، ينقصها التتبع والاستقصاء الدؤوب ، للكشف عن أبعادها الكاملة ، وجمع أطراف الصورة التاريخية الهامة .

يبقى ان نؤكد ، على ان ما يسمى « بعصر النهضة » لا يمثل امتدادا طبيعيا ولا نزيها ، للتراث الاسلامي ، وأن المحاولات التي تمت فيه للتوفيق او « التلفيق » بين التراث وبين المعطيات الحضارية الأوروبية ، هي محاولات منحرفة ، نشأت في ظل توجيه « استشراقي » ماكر ، نحو « انتقاءات » تراثية معينة ، وإن النهضة الحقيقية ، لن تكون إلا إذا أعدنا النظر في « الترتيب » العقلي والمنهجي ، الذي صاغه « المستشرقون » في الأمة ، من خلال رموز وطلائع ما يسمى « بالنهضة الحديثة » ، ومما يبشر بالخير ، ان إرهاصات عديدة ، تؤكد ان هذه العملية الكبرى ، قد بدأت فعلا .

● **سرقة جديدة** : وقد برز مؤخرا منحى جديد ، يحمل في مساره طريقا جديدة ، لسرقة تراثنا الاسلامي ، بعد ان انتهى دور « السرقة الكبرى » الأولى ، وظيفيا ، وانتهى دورها موضوعيا كذلك ، بفعل تطورات تقنية هائلة ، جعلت من العسير عزل العالم الاسلامي عن ذاكرته التراثية ، ونشطت حركات واسعة ، بجهود مشكورة ، لنقل هذا التراث بشتى الطرق ، ليصبح اليوم - من جديد - في متناول ابناء الأمة ، والشباب منهم بوجه خاص ، حيث بدأ التفاتة قوية وواضحة نحو التراث، اي نحو ذاكرته التاريخية .

والسرقة الجديدة ، تقوم على اساس الإبقاء « الشكلى » للتراث ، كمواقف واحداث وشخصيات وكتابات ، مع تفريغها من مضمونها الأصلى والحقيقي ، والذي يمثل « جوهر » التراث ، وروحه ، وفائدته كذلك .

وهذه السرقة الجديدة ، تهدف إلى أمرين ، أو توصل إليهما بالضرورة ، الأول : هو التمهيد لعملية « الاسقاط » ، الفكري والمذهبي الأجنبي في التراث ، بمعنى استبدال المضمون التراثي الأصيل ، بمضامين

اخرى ، غريبة على التراث ، وإن كانت مغلفة بالإطار الشكلي للتراث ، بما يفيد استمرارية « الترتيب العقلي والمنهجي » ، الذي نجحت الحركة الاستشراقية في صوغه ، من خلال رموز النهضة الحديثة ، حيث نصبح حاملين لمضمون غربي بغلاف اسلامي .

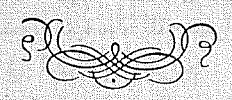
الأمر الثاني ، الذي تهدف إليه هذه السرقة ، أو توصل إليه بالضرورة ، هو تشويش رؤية الجيل الاسلامي الجديد في تراثه ، وحقائقه الموضوعية ، بما يفوت عليه الفرصة من الإفادة من « ذاكرته التاريخية »

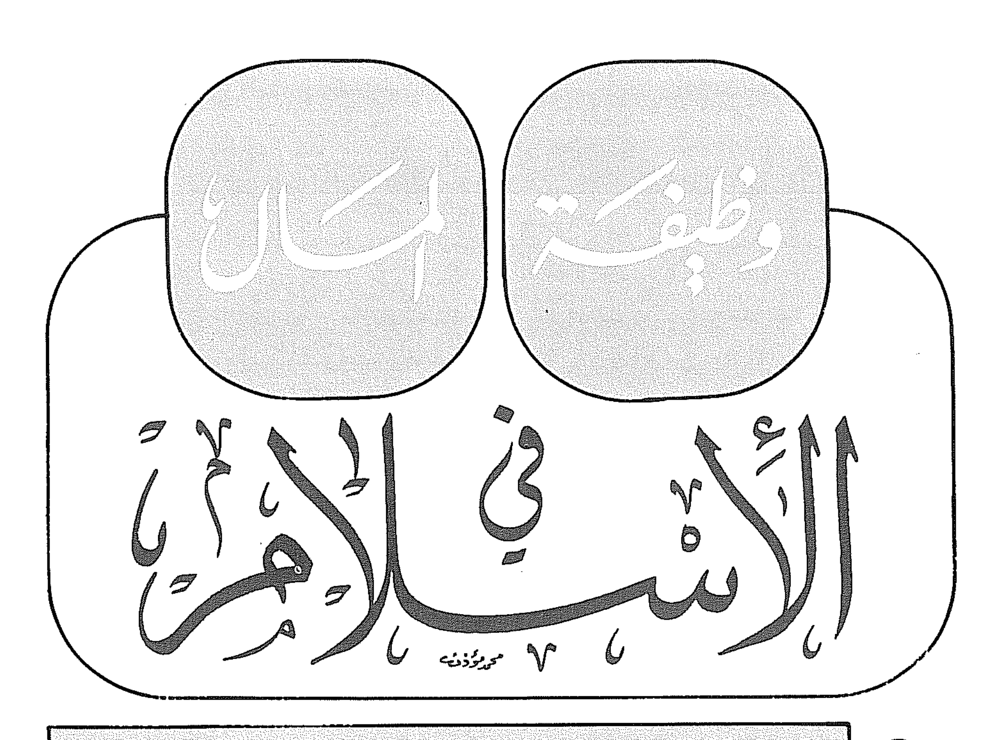
التي تحصل عليها متأخرا وبالتالي تتعمق حالة « الانقطاع » ، في مسار الأمة التاريخي ، وهو الامر الذي يسهل عملية الاستقطاب أو الذوبان ـ مستقبليا ـ في منظومات حضارية وهويات انسانية أخرى ، مناقضة لهويتنا ، روحا وموضوعا .

ونستطيع ان نرصد ظواهر تلك السرقة الجديدة ، من خلال الكتابات المتوالية ، التي برزت مؤخرا ، تتحدث حول : « الصراع الطبقي في الاسلام » ، « اليمين واليسار في الاسلام » و « الاشتراكية في الاسلام » ، « التراث والثورة » « الاسلام كفكرة قومية » ، « والعروبة في الاسلام » ، و « علمانية الاسلام » ، بل « علمانية القرآن ؟! » ، وغير ذلك ، وايضا ، الأبحاث التي تؤرخ لحادثات التاريخ الاسلامي ، مثل تلك التي تتحدث عن « الحروب الصليبية » بوصفها « حربا طبقية » ؟! ، أو « حربا قومية عربية » ضد « الاستعمار » الأوروبي ، بل إن ثمة « مؤتمرا » عقد مؤخرا في ذكرى موقعة « حطين » ، خرج أصحابه على الناس بنتيجة ، مفادها ان « الموقعة » لم تكن جهادا إسلاميا ضد الغزو الصليبي ، وإنما كانت « نضالا » قوميا عربيا » ضد « الامبريالية » الأوروبية !

ومن الواضح ان السرقة الجديدة ، امتداد متطور ، للسرقة الأولى ، ومكمل لها وفق منهجية منسقة للأدوار ، ولكنها تتميز بآلية جديدة في العمل ، لعل أخطر ما في هذه الآلية الجديدة ، انها تقوم باستعمال باحثين ومفكرين وأكاديميين ، ينتمون إلى عالمنا الاسلامي ، ويحملون أسماء عربية وإسلامية ، أي أنهم « من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » .

وليس من شك في ان هذه الملاحظة ، تتطلب من أهل الاسلام « آلية » جديدة ، في التصدى لمحاولات « السطو » المستمرة والملحة ، على تراث الاسلام .





للدكتور/ حسن أحمد عبد السلام

يؤكد المنهج الاسلامي على أن المال يجب أن يكون وسيلة في أيدي البشر ، يحققون به حياة كريمة ، في ظلها يتعاون الناس على البر والخير ، ويعمرون أرض الله بمنهج الله .

ولن يؤدي المال هذه الوظيفة إلا إذا راعى المسلم منهج الاسلام في المال فالتزم الحلال في تحصيله ، والخير والنفع ورضا الله في إنفاقه ، فلا يظلم ولا يغش ولا يسرق ولا يستغل ولا يحتكر ولا يرابي .

ويوجه الاسلام الناس إلى تحريك المال وعدم إمساكه أو كنزه ، فلن يحقق المال وظيفته إلا بالتداول والانفاق .

وينص التشريع الاسلامي على أن إنفاق المال في وجوه الخير واجب وأن إمساكه وكنزه حرام ، ويذهب التصور الاسلامي في ذلك إلى مدى بعيد ، يقتلع من نفوس الناس جذور البخل ويحببها في الانفاق .

ويشير الاسلام الى أن المال ينمو بالانفاق ، وينقص بالامساك والكنز : وقد يبدو ذلك عجيبا لكنه الحق الذي لامراء فيه .

وليس كل انفاق محببا في الاسلام ، فالانفاق غير الرشيد ، الذي لا يجلب لصاحبه ولا لمجتمعه نفعا في حدود مرضاة الله حرام ، إذ هو تبذير وإسراف وسفه ، والله سبحانه يقول في القرآن الكريم :

« وآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن

المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » سورة الاسراء آية ٢٦ـ٢٧ .

فالنص صريح في الدعوة إلى إنفاق المال في وجوه الخير ، ؛ وإعانة المحتاجين ، وصريح كذلك في النهي عن الاسراف والتبذير وإنفاق المال في غير وجوهه المشروعة .

والانفاق في الوجوه المشروعة يزيد المال وينميه ، إذ يبارك الله فيه ولقد سمى الاسلام إنفاق جزء من المال في وجوه الخير وعلى الفقراء والمساكين (زكاة) والكلمة تعني في مدلولها اللغوى .. النماء والزيادة والطهر فالمال المزكى مال مطهر مبارك ، وغير المزكى ، خبيث غير طيب . ولأن وظيفة المال في إرضاء الله وإسعاد الناس لا تتحقق إلا بالانفاق الرشيد جعل الاسلام الزكاة ركنا من أركان الدين ، واجبا على الأغنياء ، حقا للفقراء .

يقول الله عز وجل :

« **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** » الآية/ ١٩ سورة الذاريات

وهذا الحق واجب على وجه الالزام ، فإن لم يؤده الأغنياء كان على ولاة الأمر أخذه منهم بالقوة ، لأنه حق الله في ماله يؤخذ من الموسرين ، ويرد على الفقراء ، لينال كل حظه من فضل الله ، ورضي الله عن أبي بكر الصديق ، فقد قاتل المانعين للزكاة وأجبرهم على أداء حق الفقراء .

وإلى جانب الزكاة المفروضة هناك نفقات حث الاسلام عليها ورغب فيها كالصدقة والصلة ، وكل إنفاق زائد على الزكاة الواجبة في وجوه الخير .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** » سورة البقرة آية ١٧٧

فوجوه الانفاق متعددة وأنواع البر كثيرة ، والمسلم لا يبخل بما له ، بل ينفقه ابتغاء مرضاة الله ، وإسهاما في تحقيق حياة كريمة للناس ، فتلك هي وظيفة المال في الاسلام .

وأحيانا يكون الانفاق الزائد على قدر الزكاة واجبا مثل الزكاة ، وذلك في حالات المجاعة والضوائق والكوارث التي قد تحل بمجتمع المسلمين ، ويرجع تقدير مثل هذه الحالات الى ولاة الامور في دولة المسلمين .

وفي جعل الاسلام الزكاة حقا للفقراء ملحظ اجتماعي غاية في الاهمية فإن الفقير إذا استشعر أنه يأخذ حقه وهو يتلقى الزكاة ، رفع عنه الحرج ولم يستشعر الذلة ، ولا يحق للغني أن يمنَّ على الفقير أو يتعالى عليه لأنه يعطيه الزكاة . فهو في ذلك لا يؤدى إلا واجبه ، ولم يأخذ الفقير غير حقه .

ولايخفى أن الزكاة ترضي الفقراء وتطيب نفوسهم وتطفىء عندهم جذوة الحقد على الأغنياء وتباعد بينهم وبين التمرد وعدم الرضا بقضاء الله ، فهي تطهير لمال الأغنياء وتطهير لنفوس الفقراء ، وهي حماية للمجتمع من الحقد والكراهية والتفسخ ، وصدق الله العظيم إذ يقول عز وجل .

« **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** » سورة التوبة آية/١٠٣ والأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى أن الزكاة فريضة لازمة كثيرة منها ما يرويه ابن عباس رضى الله عنهما . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن « إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » رواه الخمسة .

والاسلام يحذر من الامساك والكنز ويتوعد المانعين للزكاة بالبوار والخسران في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » متفق عليه .

فالبركة والزيادة والنماء للمنفق ، والتلف والبوار للممسك وعن ابي هريرة رضى الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ـ حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالابل . قال : ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرَّ عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالبقر والغنم قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقرلا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار ..) متفق عليه

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال .

(من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ثم يقول أنا مالك انا كنزك ثم تلا : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ..) رواه الخمسة إلا أبا داود .

والحديث يصور المال غير المزكى ثعبانا ضخما يطوق صاحبه يوم القيامة ، ويتهكم به ويسخر منه ، ويعذبه ويؤلمه .

ويقول الله سبحانه وتعالى مبينا عذاب الكانزين المسكين الذين لا ينفقون المال في أوجه الخير ، ويعطلونه عن أداء وظيفته التي من أجلها خلقه الله :

« **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** » التوبة آية/ ٣٤ـ٣٥ وليس الانفاق المأمور به مقصورا على إخراج الزكاة ، بل يمتد إلى تحريك المال وانفاقه لتنميته والصرف منه على وجوه الخير وما ينفع الناس ، وعدم حبسه وكنزه فإن المسلم مأمور بألا يكنز ماله ولا يمسكه عن التداول . لأنه لو فعل ذلك وأخرج زكاته فإن الزكاة تفنيه ولا يريد الاسلام ذلك فلو أن واحدا يملك ألف جنيه مثلا . وأمسكها ولم يخرجها للتداول ، ثم أخرج زكاتها ٢,٥٪ فان المبلغ لن يبقى منه شيء بعد فترة معينة،وقل ذلك في كل أنواع المال ، فان حبس المال ينقصه ، لذلك أمر الاسلام وصي اليتيم بأن ينمي له ماله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة » الموطأ .

يجب على المسلم أن يخرج ماله للتداول فينتفع وينفع الناس به ، ويؤدى زكاته ، وبعض الناس يدفعه شحه إلى كنز المال وحبسه ، ومنعه من التداول وذلك سلوك غير إسلامى لأنه يحبس الخير عن نفسه وعن المجتمع ، بل يجلب الضرر على نفسه وعلى مجتمعه ويعرض نفسه لعقاب الله .

لهذا ذم الاسلام الشح ونهى عنه ، ودعا المسلم إلى أن يكون هو سيد المال لا أن يكون المال سيده ، فاستعباد المال للناس يجعلهم يضنون به حتى على أنفسهم وذلك يسبب الكساد الاقتصادى ، ولو فعل الناس جميعاً ذلك لانعدمت حركة البيع والشراء ، وبارت السلع وتعطل الانتاج وحدثت الأزمات وقل العمران ، وكل ذلك تدمير لا يقره الاسلام ولا يرضاه ، لهذا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعاسة والانتكاس على من يستعبده المال فلا يتقى الله فيه :

« تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة،تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش» رواه البخارى وابن ماجة .

وليس الغني وحده هو المأمور بالانفاق وسماحة النفس ونبذ الشح بل الفقير كذلك مأمور بالنفقة ما استطاع . يقول الله عز وجل :
« **لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا** » سورة الطلاق آية/ ٧ .

وروى عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«اتقوا النار ولو بشق تمرة » متفق عليه .
إن إمساك المال وكنزه إذن شر ينهى الاسلام عنه،ويدعو الاسلام المسلم الى أن يحرر نفسه من عبودية المال ، فينفقه في وجوه الخير ، ويتداوله بما ينفع الناس ، ويؤدى زكاته ، فلا يغلبه شحه وبخله فيقع فيما حرّم الله . ولقد بشر الله سبحانه المنفقين بالخير والتيسير عليهم في الدنيا والآخرة ، وتوعد البخلاء الكانزين بالتعسير والعذاب يقول عز وجل :
« **فأما من أعطى واتقى ● وصدق بالحسنى ● فسنيسره لليسرى ● وأما من بخل واستغنى ●وكذب بالحسنى ● فسنيسره للعسرى ● وما يغني عنه ماله إذا تردى** » سورة الليل من آية/ ٥ ـ ١١ .
وأخبر الله سبحانه وتعالى أن المفلحين هم الذين تغلبوا على الشح وأنفقوا المال في وجوه الخير ، وأخرجوه للتداول ، ولم يحبسوه .
« **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » سورة الحشر آية/ ٩ .
ولخطورة داء الشح وأثره في تدمير الاقتصاد ، وخراب العمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مجتمع المؤمنين فقال .
« إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم
والاسلام في دعوته إلى الانفاق وتحذيره من البخل ، لا يقصد الانفاق الاستهلاكي فحسب وإنما يقصد الانفاق المربح المنتج ليكون المال أداة تنمية وتقدم للمسلمين لاأداة رفاه و ذخ وفساد ، فالاسلام يدعو إلى التدبير وينهى عن الاسراف ويدعو إلى العمل وينهى عن التكاسل ويدعو إلى استغلال المال الاستغلال الصحيح الذي يحقق رضا الله عن المسلم وخير الفرد والجماعة .
فإذا كان لدى المسلم مال منتج (رأس مال) فإن الاسلام يوجهه الى عدم تحويل هذا المال الانتاجي إلى مال استهلاكي ، فإن فعل خالف توجيهات الاسلام ولن يبارك الله تعالى في تصرفه هذا .
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يبارك في ثمن أرض أو دار الا أن يجعل في أرض أو دار » وفي رواية (من باع دارا او عقارا فلم يجعل ثمنه في مثله كان قمينا أ لا يبارك فيه) رواه احمد وابن ماجه .

وإذا كان الانفاق الاستهلاكي المسرف منهيا عنه في الاسلام لضرره فإن كنز المال ومنعه منهي عنه لضرره كذلك .

وكما أن الشح والحرص الأعمى على المال يدفعان الى الامساك فإنهما يدفعان كذلك الى التعامل بالربا ، فالبخيل يريد لماله أن يزيد ولو عن طريق الربا ، فيستغل حاجة الناس ، ويقرضهم بزيادة حرصا على المال وحبا فيه ، والاسلام ينهى عن ذلك السلوك الآثم لما فيه من استعباد المال لصاحبه ، واستغلال حاجة الناس وأكل أموالهم بالباطل .

الاسلام يدعو الى التكامل والتعاون والتراحم ، والطهر والعفاف والقناعة والعمل والانتاج والتنمية ، والانفاق في وجوه الخير ، وتسخير المال لخير الناس وإسعادهم وينهى عن الغش والتدليس والاستغلال وجميع المنكرات ويدخل في المنكرات كل ما نهى الله ورسوله عنه من العقود المحرمة مثل عقود الربا والميسر ، ومثل بيع الغرر .. وربا النسيئة وربا الفضل .. وسائر انواع التدليس .

وأثر الربا محق البركة من المال ، وغضب الله وكراهية الناس وصدق الله العظيم إذ يقول : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۝ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم** » سورة البقرة آية/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦

يقول الشيخ سيد قطب ـ رحمه الله . (الصدقة عطاء وسماحة ، وطهارة وزكاة ، وتعاون وتكافل ، والربا شح ، وقذارة ودنس ، وأثرة وفردية ، والصدقة نزول عن المال بلاعوض ولا رد،والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين أو من لحمه .

من جهده إن كان قد عمل بالمال الذي استدانه فربح نتيجة لعمله هو وكده . ومن لحمه إن كان لم يربح أو خسر ، أو كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يستربحه شيئا .

ومن ثم فهو ـ الربا ـ الوجه الآخر المقابل للصدقة الوجه الكالح الطالح،إلا أن منهج الاسلام في المال هو منهج الاسلام في الحياة قوامه الحق والخير والعدل وطريقه العمل المخلص الشريف ، وهدفه خير البشر وغايته رضا الله رب العالمين ومصدر منهاج الاسلام في المال والحياة هو كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وآراء الفقهاء المجتهدين المستنبطة من الكتاب والسنة والله ولي التوفيق .



من خلال مشاعر الحج

للدكتور/ محمود محمد عمارة

تقديم :

يقول الشاعر العربي :
متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

انها قصة الصراع بين القيم المادية . والقيم الروحية :

الاتجاه المادي في الحياة يستهدف اغراق الانسان في متع حسية تنسيه دوره الرئيسي في الحياة . بمقدار ماينمي فيه مشاعر الأنانية فلايهتم إلا بذاته . وبعدها فليكن الطوفان .

وتلك نقطة الاختلاف بين القديم والجديد :
بين القيم التي تخاطب العقل .. وتلك التي تتملق العاطفة .
بين « مقرر » مفروض عليك استيعابه واستذكاره .. لتمتحن فيه .. وبين الصور الملونة .. المتجددة .. والتي توافيك ساعة فراغك ولن تكون مادة تمتحن فيها ! ..
بين علوم قيمة .. تنتزعك من مخدعك . لتذهب إليها على جسر من التعب . ثم لتسهم بها في ترقية أمتك .



وبين صور تطرق عليك بابك . بل وتدخل عليك مخدعك . وبلا استئذان .

إنها قصة المربي : الذي يغرس في قلبك أصول الأخلاق . ورجل الدنيا الذي يتهدد هذه الاصول . حين يلهي تلك القلوب عن ذكر الله تعالى بما يبدده من طاقة معدة أساسا للنهوض بالانسان في معركة لاينتصر فيها إلا الأقوياء !

الحج قبل الاسلام وبعده :

وفي قصة الحج على مدار الزمان نموذج لهذا الصراع الذي انتهى أخيرا لصالح الانسان في ظل الاسلام . ولكن .. كيف ؟

لقد كانت للعرب تجاوزات وصور سموها حجا .. وليست من الحج في شيء :

١ ـ كانوا يجتمعون في موسم الحج في مظاهرات إعلامية يتسابق فيها الشعراء . يفاخر كل شاعر أو خطيب بأمجاد قبيلته . وكان الشاعر أو الخطيب يمثل صحيفة بمنطق العصر ـ تدافع عن الحزب بالحق وبالباطل .

٢ ـ وكان شيوخ القبائل يتنافسون في ذبح النوق .. وايهم يذبح اكثر تسير بذكره الركبان .. إلى جانب أنهم كانوا اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربى إلى الله تعالى . وعلى دقات الطبول .. والغناء والرقص .. كانوا يسهرون الليل في مجالس خالية من ذكر الله .

٣ ـ كان الرجال والنساء يطوفون بالبيت عرايا بلاحياء .. وربما فلسفوا ذلك التصرف الآثم قائلين :
هكذا ولدتنا امهاتنا .. وسوف نذهب إلى الله كذلك ..
٤ ـ وحتى اذا ذكروا الله تعالى ذكروه مع شريكه ـ تعالى الله عما يقولون ـ كانوا يقولون (لبيك اللهم لبيك) لاشريك لك الا شريكا هو لك . تملكه ومامك .
٥ ـ استهتروا بالأشهر الحرم فكان النسيء زيادة في الكفر .

موقف قريش :

٦ ـ وكانت لقريش مواقف خاصة في موسم الحج . تتسم بالتعصب وضيق الأفق . إلى الحد الذي يشكل عدوانا على شعائر الله تعالى في الحج (فقد وقفت مع حلفائها موقفا خاصا في المزدلفة لايجاوزونها الى عرفات .. وكانت لهم من ناحية أخرى مظاهر إعلامية يتحدثون فيها عن الآباء والأجداد وما كانوا يتقلبون فيه من النعيم .

روى ابن عباس : أن العرب كانوا عند الفراغ من حجتهم بعد أيام التشريق يقفون بين مسجد منى والجبل . ويذكر كل واحد منهم فضل آبائه وأجداده . وربما قال أحدهم : اللهم ان ابي كان عظيم القبة . عظيم الجفنة . كثير المال . فأعطني مثلما اعطيته . فلايذكر غير أبيه .

واذا مادعا احدهم قال :
اللهم اجعله عام غيث . وعام خصب . وعام ولاد حسن . لايذكر من امر الاخرة شيئا . وكان المشرك يدعو فيقول .. أسقنا المطر .. وأعطنا عدوك الظفر .

ملامح الاعلام المادي :

واذا رحنا نتأمل هذه المظاهر الخداعة . بدت لنا ملامح الاعلام الذي يجعل المادة غاية ووسيلة .. مستدبرا قيم الايمان العاصم من الزلل ومن هذه الملامح .
١ ـ الاعتزاز بالقديم .. لمجرد أنه قديم .
٢ ـ التعصب للجنس .. أو الوطن .
٣ ـ تحكم القوى العابثة في مصائر الناس .
٤ ـ التطلع الى مزيد من المتعة الحسية .
٥ ـ الغفلة عن ذكر الله تعالى . وقيم الايمان .
٦ ـ محاولة كل فريق أو تجمع اثبات وجوده . ولو على حساب الاخرين بل انه أولى بالحياة من الاخرين ..
٧ ـ وفي غمرة هذا التنافس يزداد التمزق .. ومن خلال هذه المفاخرة الطائشة ومن ورائها دوافعها الحادة .. يزداد الانسان طلبا لمتع الحياة .. وكلما زادته فنونا زادته فتونا .

خطورة الاعلام المادي

من أهداف الاعلام المادي محاولة اختراق الأسوار والتأثير في قلوب المجتمع الاسلامي .. التي يمكن أن تستجيب له على الأقل في فترة من زمان .

فقد ذكر البيضاوي أن المشركين لما لطخوا الكعبة بدماء الذبائح هم المسلمون بتقليدهم فنزل قوله تعالى :

(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)

وفي موسم الحج مر « أبى بكر » رضى الله عنه على جماعة من حلفاء قريش فقالوا له : إلى أين وهذا مقام آبائك وأجدادك .. فلا تذهب . فلم يلتفت اليهم ومضى بأمر الله تعالى إلى عرفات . ووقف بها . وأمر سائر الناس بالوقوف بها دون المزدلفة التي جعلتها قريش موقفا لها تعسفا وجهلا .

ولئن استمسك أبو بكر بالحق فإن إخوة له في الاسلام وقعوا في الشرك المنصوب . بعد أن أكرمهم الله تعالى بالاسلام .

تكاثر « بنو حارثة » و« بنو الحارث » ـ من الانصار ـ فقالت احداهما : فيكم مثل فلان .. أبن فلان ؟

وقال الآخرون مثل ذلك . تفاخرا بالأحياء .

ثم قالوا : انطلقوا بنا الى القبور . فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ..

يشيرون إلى القبور .

وفعل الآخرون مثل ذلك .

فأنزل الله تعالى :

(الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) .

وقد تكرر الموقف فيما يشبه ما تفعله أجهزة اعلام مغرضة تردد مثل ما قال الأولون افتخارا وبطرا .

فكل دولة ـ لا سيما الدول الكبرى ـ تسلط أجهزتها في حملات إعلامية ضارية تحاول بها تخدير أمم الاسلام بما تشيعه عن قوتها . ومخترعاتها . و أبطالها .

تماما كما قال أباؤهم الاولون في معرض التكاثر :

نحن أكثر سيدا . وأعز عزيزا . وأعظم نفرا . وأكثر قائدا .

القرآن في مواجهة الاعلام المزيف

ونطالع خصائص التوجيه القرآني وهو يفند هذا الاعلام المزيف .

والقرآن بصفة عامة يوجه الأنظار الى أن موسم الحج فرصة ذهبية . يتزود فيها المسلم بالقيم الاصيلة التي لا رقي للأمم الا بها . ولا كرامة للانسان الا في ظلها .

ولقد شهد الأعداء فعلا بأهمية هذا التجمع المبارك .

وظهر ذلك جليا في العام الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كان عيدا للامة ينبغي أن تذكر فيه نعمة إكمال الدين وإتمام النعمة .
جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :
ياأمير المؤمنين . انكم تقرأون آية في كتابكم . لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا .
قال : وأي آية هي ؟
قال : قوله تعالى :
(اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) المائدة/ ٣١
فقال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشية عرفة . في يوم جمعة .

خصائص الاعلام الاسلامي

وقد نزلت الآيات الكريمة مفندة مواقف القوم . مصححة مفهوم الحج .. كاشفة في نفس الوقت زيف ما يصنع المبطلون :
ففيما يتعلق بالتفاخر بالذبح :
فقد شددت الآيات الكريمة الحملة على ما كانوا يذبحونه او ينفقونه تفاخرا .. وذلك قوله سبحانه :
(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) الحج/ ٣٦و ٣٧
فالابل من شعائر دينه سبحانه وتعالى التي جعل لكم فيها منافع دينية ومنافع دنيوية . ولا قيمة لذبحها إلا اذا ذكرتم الله عنده فقلتم :
(الله اكبر . لا اله الا الله . والله اكبر . اللهم منك واليك . فاذكروا الله تعالى عند ذبحها وهن صافات قد صففن أيديهن وارجلهن)
فاذا سقطت على الأرض مذبوحة فكلوا منها وأطعموا القانع الراضى بما يأخذ دون مسأله وكذلك المعتر الذي يعترض ويسأل فاشكروا نعمة تسخيرها من قبله

تعالى . نعمة التمكن منها والانتفاع بها ذاكرين حقيقة مهمة وهي :

أن رضاء الله تعالى لا ينصب على مجرد اللحوم والدماء . ولكن الذي يرضيه سبحانه هو الدوافع الشريفة التي تسوق الى العمل الطيب . وهكذا تستل الآيات

من قلوبهم دوافع الترف والاستعلاء . لتغرس مكانها ملكة التقوى الموجهة الى التي هي أقوم .

أما عن التفاخر بالآباء . والتعنت في ممارسة الشعائر . فتقرأ قوله تعالى :

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم أباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنه وقنا عذاب النار.أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) البقرة/ ١٩٩و ٢٠٢

تأمرهم الآيات الكريمة بالافاضة من عرفات كما يفيض بقية الناس الذين هم واقفون بعرفات . ثم ترشدهم الى الاستغفار :

(واستغفروا الله) ..

إنهم عندئذ في مساقط الرحمة ومن الحكمة أن يتعرضوا لها . إن الاستغفار عملية تخلية من آصار الماضي . تجيء بعدها التحلية بالطاعة على أساسها المتين . وحتى اذا لم تكن للانسان خطايا فان العمر طويل .. والواجبات كثيرة . فالاستغفار ضرورى ليواكب هذا القصور المحتمل فيمحوه .

لا بأس أن يذكر الانسان أباه .. وجده .. ولكن الحقيقة التي تفرض نفسها هي ما أجمل الدين السمح .. في الرجل السمح . وما أجمل الجنس الكريم .. في الرجل الكريم . فأكرم من ليس من جنسك .. يكرم جنسك عليه .

والقرآن الكريم لا ينتزع القوم أنتزاعا من هذه المظاهرة التي كانوا يقيمونها في موسم الحج .. بيد أنه تلطف بهم .. فعالجهم بالحكمة .. وصولا بهم الى أفق الاسلام الأعلى .. وذلك قوله عز وجل : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم أو أشد ذكرا » .

ان الاستغراق في الماضي .. ومحاولة البحث عن مثل ما ذاقه الآباء من صور النعيم .. وقوف بالنفس عند حظوظها المادية .. بقدر ما هو تجاهل لنصيبها من غذاء الروح .

واذا سوغ المنطق لهم ذكر ابائهم لأنهم سبب وجودهم .. فان هذا الوجود نفسه من عند الله تعالى ابتداء .. وإن ما تقلبوا فيه من النعيم هو منحة منه سبحانه .. واذن .. فهو أولى بالذكر منهم ..

والقرآن الكريم لا يقطع تواصل الأجيال هنا .. فان حسن الصلة من أعظم وصاياه . لكنه يثير فيهم الحماس .. ليسيروا في الاتجاه الصحيح .. قبل ان يكونوا صورة مكرورة لحياة أبائهم بلا جديد يضيفونه الى المجتمع زكاة يؤدونها .. والموقف السليم : أن تمتد بالولد آماله ليكون لأبيه عمرا ثانيا .. وأن تستيقظ في نفسه أشواقه الرامية الى استحضار عظمة الخالق سبحانه . ولا يتم ذلك الا بذكر الله تعالى .

و: المسلم إزاء هذا الدرس القرآني لم يخلق ليبدد طاقاته في متاع موصول يجدد به الماضي .. بل أن له رسالة تفرض عليه أن يرتفع إلى مستواها فيكسر من شهوة الطعام في نفسه .. ويقاوم كل رغبة تهبط به إلى أسْفل .. ليبقى في العمر متسع لعمل صالح يخلد به .

والقرآن الكريم هنا يثير في النفوس الاحساس العميق بأحقيته تعالى بالذكر .. وحده .. وان لم تمنع الآية الولد من ذكر أبيه : « كذكركم آباءكم .. أو أشد ذكرا » وتلك هي النتيجة المؤكدة من الناحية العملية :

١ ـ إن مفاخر الآباء قليلة .. وقصيرة العمر .. أما كمالات الله تعالى فلا تتناهي .. فلابد من ذكر يكافيء كمالها ..

٢ ـ إن غضبك لله إذا عصى يجب أن يكون أشد من غضبك لأبيك إذا شتم .

٣ ـ هل يرضى أحدكم ان ينسب أبوه الى نقص ؟ فكيف بالخالق سبحانه ؟

وإذن فهو احق بالذكر منهم قطعا ، وكما يقول المفسرون ان ذكر الاباء مؤد بك الى خطر يتهدد وجودك حتى في حالة صدقك .. يقول الرازى : (ان ذكر مفاخر الآباء إن كان كذبا فذلك يوجب الدناءة في الدنيا . والعقوبة في الآخرة . وإن كان صدقا فذلك يوجب العجب . والكبر وكثرة الغرور . وكل ذلك من أمهات المهلكات . فثبت أن أشتغالكم بذكر الله أولى من اشتغالكم بمفاخر آبائكم .

وكلام الامام الرازى هنا مشمول بالحقيقة القرآنية التي ترجع إلى ذكر الله كل نهضة مادية وأدبية .. وأن الأمة الذاكرة الشاكرة تضع بالذكر أقدامها على طريق الصعود .. في الوقت الذي تنحدر فيه الأمة الغافلة الى أسفل سافلين جزاء وفاقا : يقول سبحانه (**ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**) طه/ ١٢٤ .

ومهمة الشيطان الكبرى إلهاء الانسان عن ذكر الله .. ولا يتيسر له ذلك الا أذا أعطاه الانسان زمامه : (**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) الزخرف/ ٣٧ .

من أجل ذلك يهيب الله تعالى بالذين آمنوا ليتنبهوا فلا يقعوا في الشرك المنصوب : (**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق**) الحديد/ ١٦ .

وحرى بالايمان أن ينجو بهم من كيد الشيطان الذي استحوذ على آخرين حرموا ذلك الايمان : (**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**) المجادلة/ ١٩ .

إن اتجاه الاعلام الدولي اليوم إلى غاية من السراب .. لا يجد الانسان عنده شيئا .. ولكنه يواجه بالعقاب ثم العذاب .. لقد أقام وجوده على التفاخر . وتزيين الرذيلة .. والتكاثر بالقومية .. والأمجاد التي لا تصبر على النقد الصحيح . وتلك سمة بارزة يتفرد بها الاعلام حين ينفصل عن القاعدة الايمانية ، هذه القاعدة التي يعمق القرآن أصولها ويثبت في النفوس جذورها حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها .. وذلك عن طريق :

أ ـ العبادة التي تكسر النفس .. وتزيل ظلمتها ـ كما يقول العلماء ـ وهذا هو الاستغفار .

ب ـ وبعد العبادة يأتي الذكر .. تنويرا للقلوب .. الذي تتجلى فيه انوار الحق .

جـ ـ ويأتي بعد ذلك الدعاء .. ليظل القلب مشدودا إلى خالقه فلا يوكل إلى نفسه طرفه عين .

الدعاء

ذكرت الآيه الكريمة من الداعين صنفين اثنين : « **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخره من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار** .. البقرة ٢٠٠ / ٢٠١

طلاب الدنيا

إنهم لا يطلبون شيئا محددا .. وإنما يتمنون كل شيء .. المهم أن يؤتى .. وبلا حساب للعواقب .. كما يفيد حذف المفعول .. مع أن طاقة الانسان محدودة .. وعمره قصير . لا يمكنان من تحقيق الامال .. كما وليس لهم رصيد من العمل يرشحهم لهذا الدعاء !

إن طلب المتعة هكذا دليل على شره يتطلع إلى كل مرغوب .. ومن أي سبيل .. ولو كان معصية الله تعالى .. وبأي ثمن .. ولو كان هو كرامة الانسان !
وهو المعنى المراد من حرف الجر « في »

أي : في الدنيا .. مستغرقين فيها .. ومن ثم فلا يسمعون . ولا يبصرون .
وفقدوا بذلك وجودهم الاجتماعي .. حين طلبوا كل شيء متجاهلين إخوانهم من حولهم .. والذين يريدون مثلهم الحياة .. ولن تتيسر لهم الحياة والمترفون هكذا يفتحون أفواههم في محاولة لالتهام أرزاق الآخرين !!
ولكن العقلاء من المؤمنين لهم موقف آخر :

إنهم مثلهم يطلبون الدنيا .. ولكنهم يطلبون أحسن ما فيها .. وإذا كان الأولون قد ذهبوا بطيباتهم في الدنيا فلم يبق لهم في الآخرة نصيب ..
فإن المؤمنين دونهم : (لهم نصيب مما كسبوا) نصيب لا يأتيهم جزافا .. وأنما هو ناشىء من كسبهم .. وهم واضعو أساسة با لعمل .. فجزاؤهم من جنس عملهم .
إنهم يقدمون على ربهم بالباقيات الصالحات .. والتي تمنحهم الخلود في الجنة ..
لقد تركو وراءهم تلك القباب .. وجفانا كالجواب .. وبقيت النوايا الطيبة مترجمة إلى أعمال صالحة . هى اليوم ظلهم الظليل .. وعمرهم الطويل .

وبهذا المنهج الرباني الحكيم أمكن ـ على ما يقول الرازي : « تحويل القوم عما إعتادوة بعد الحج من ذكر التفاخر بأحوال الآباء . لأنه لو لم ينه عن ذلك بإنزال هذه الآية لم يكونوا ليعدلوا عن هذه الطريقة الذميمة » .

فاذا ضمت الآيات الكريمات الى أمثالها في كتاب الله تحققت الغاية المنشودة من وراء ذلك كله وهى :

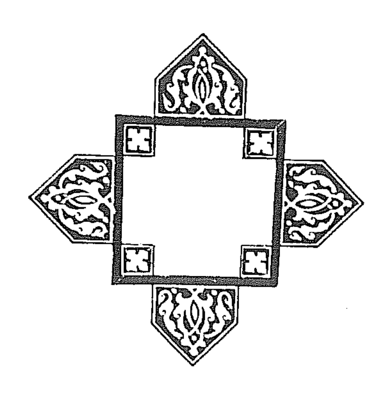
قهر النفس ، ومحو آثار النفس والطبيعة . ثم هذا العزم ليس مقصودا بالذات ، وإنما المقصود منه أن تزول النقوش الباطلة عن لوح الروح . حتى يتجلى فيه نور الله .

وبعد : فإن الاعلام الدولي اليوم إنما هو صورة مكبرة للاعلام في بواكير الحياة الأولى .. في أهدافه .. ووسائله وحبائلة !

ولهذا السبب نفسه تدور المعركة ـ كما أشرنا في المقدمة ـ بين رجال التربية البناة .. وبين الذين يعاكسون اتجاههم الراشد ..

والأمة الاسلامية مطالبة بوعي هذه الدروس القرآنية وفاء لدينها .. وانتصارا على عدوها ولتكن معركة مباركة يقف فيها الاعلام الاسلامي على أصوله التربوية المستمدة من كتاب الله تعالى :

١ ـ استغفار .. نتخلص به من خطايانا تخلصا نطهر به نفوسنا .
٢ ـ ذكر الله تعالى .. تصطبغ به برامجنا وأعمالنا الفنية والعملية .. حتى لا نضل .. فنزل ..
٣ ـ دعاء متجدد لا يسمح لمشاعر الغرور أن تشوش علينا .. ليبقى الحول والطول والقوة .. لله جميعا .





للاستاذ / احمد محمود أبوزيد

● العبادات في الاسلام ليست مجرد مظاهر وشعائر يؤديها المسلم لمجرد أنها مفروضة عليه من ربه سبحانه لا لشيء إلا الاذعان والخضوع والامتثال لأوامره وإظهار العبودية له ، ولكن العبادات وهي جانب هام من جوانب الاسلام تحمل في حقيقتها معاني كثيرة ، وأخلاقيات حسنة ، وفوائد اجتماعية كريمة ومتعددة ، تعود على المسلم وعلى المجتمع بالخير الكثير ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتجمع بين المسلمين وتقوي الروابط الاجتماعية بينهم ، وتساعد في تعارفهم وتآلفهم . والزكاة عطاء وبذل وتكافل اجتماعي وتقوية للصلة بين الأغنياء والفقراء ، وحماية للمجتمع من روح الكراهية والبغضاء والحقد وكل ضروب الشر ، وهي حل لمشكلة الفقر التي تعد من أعتى المشكلات .

● والصوم ليس مجرد الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ولكنه يربي في المسلم فضيلة التقوى والصبر وقوة الارادة والعزيمة ، ويعوده على مجاهدة النفس والشهوات ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، كما يربي فيه صفة المراقبة والانضباط الذاتي وهي من أهم الفضائل الاجتماعية وأجلّها .

وإذا ما نظرنا إلى الحج ـ وهو موضوع حديثنا ـ نجده عبادة لها تميزها الخاص عن بقية العبادات ، فهو يؤدى في العمر مرة واحدة ولمن استطاع إليه سبيلا في حين أن العبادات الأخرى متكررة في حياة الانسان فمنها مايؤدى كل يوم كالصلاة ، ومنها مايؤدى كل عام كالصيام والزكاة ،

ومن هنا يأتي التميز لفريضة الحج ، وتأتي الفوائد والآثار والمنافع المترتبة عليها لتتناسب مع هذا التميز ، فقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى منافع الحج في قوله تعالى : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام**) الحج /٢٧ ، ٢٨ .

ثم تجد سورة من القرآن الكريم تحمل اسم هذه الفريضة وهي سورة الحج وهذه خصوصية أخرى تنفرد بها عن بقية الفرائض ، ولعل هذا التميز يعود إلى أن الحج يعد من أصعب الفرائض وأشقها ، فإذا كانت الصلاة والصيام يؤديان بالنفس ، والزكاة تؤدى بالمال فإن الحج يؤدى بالنفس والمال ، هذا إلى جانب ترك الأهل ومشقة السفر طال أم قصر ، ولعل ذلك ماجعل الحق سبحانه يقصر هذه الفريضة على المستطيع فقط في

قوله تعالى : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**) آل عمران / ٩٧ واخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن عمر انه قال : « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » متفق عليه .

● رحلة إيمانية ●

والحج ليس مجرد رحلة عفوية يبدد فيها المسلم وقته وجهده وماله ولكنه رحلة روحية إيمانية تتجلى فيها الفوائد والمنافع الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فبجانب المنافع الأخروية التي تعود على المسلم

من هذه الرحلة حيث يعد الحج المبرور مغفرة لذنوبه فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

فإن في الحج منافع دنيوية كثيرة ، فنجده يقوي روح المساواة التامة بين الناس حيث يتجرد الجميع من ملابس الزينة ، ويرتدون ثيابا واحدة لايعرف بينهم الغني من الفقير ، ولا الوزير من الغفير ، ولا الرئيس من

المرؤوس ولا السيد من المسود ولا العربي من الأعجمي فالكل سواسية أمام الحق سبحانه يؤدون شعائر واحدة ، ويلبون كلهم بدعاء واحد قائلين : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك لبيك » .

وروح المساواة هذه هي التي حرص الاسلام منذ اللحظة الأولى على بثها بين الناس فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، والكل تجمع بينهم روابط الاخوة الاسلامية وتختفي بينهم عوامل الدم والعرق والنسب ودعوات العصبية والقبلية (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير** » الحجرات / ١٣ . وهذه المساواة ليست شعارا فارغ المضمون ولكنها مساواة عملية فقد آخى الاسلام بين عمر بن الخطاب وبين بلال الحبشي ، وصنع من العبيد والموالي قادة سادوا العالم وقادوا الحروب والغزوات أمثال زيد بن حارثة وصهيب الرومي وسلمان الفارسي .

وبجانب هذه المساواة المتجلية في الحج فإن فيه منافع اقتصادية متعددة حيث يعد مجالا واسعا للتجارة والبيع والشراء وتبادل المنافع بين المسلمين ولاشك ان تجمع الحجيج وتعاملهم مع بعضهم البعض يساعد في التعارف والتآلف بينهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم .

● المنافع السياسية ●

وبجانب كل هذا فإن في الحج منافع سياسية تعود آثارها على الأمة الاسلامية جمعاء حيث يعتبر الحج مؤتمرا سياسيا كبيرا يعبر عن وحدة المسلمين وتماسكهم فإذا كانت الصهيونية العالمية قد تعاونت مع الاستعمار في القضاء على الخلافة الاسلامية التي كانت رمزا لوحدة المسلمين واجتماع شملهم وكلمتهم ، حتى تفرقت الأمة وتمزقت إلى دويلات وشيع وأحزاب متصارعة لاتجتمع كلمتهم ولاتتوحد صفوفهم ، فإن في الحج عوضا لهم ولو بالقدر اليسير حيث يجمع بين الشعوب الاسلامية من كل بقاع المعمورة في مكان وزمان واحد وبدعوة من الله سبحانه .

وجدير بهذا التجمع الايماني أن يؤلف بين قلوب قادة الدول الاسلامية وساستها التي عجزت المحافل الرسمية أن تجمع بينهم في لقاء أو اجتماع ، وفي هذا التجمع الكبير يتم استعراض قضايا المسلمين ومشكلاتهم ومناقشتها وتبادل الآراء والمشاورات حولها للوصول إلى الحلول الجذرية لها ، كما يتم فيه عقد الاتفاقيات والمعاهدات وإذابة الخلافات والصراعات بين الشعوب الاسلامية . وفي هذا الصدد يقول الداعية الاسلامي الشيخ محمد الغزالي : إن يوم عرفة يوم من مفاخر الاسلام لأن المسلمين يحتشدون فيه هناك،مايعرف بعضهم بعضا ، فالمسلم الذي يعيش على شاطىء الأطلسي في الرباط أو في داكار أو في لاجوس في نيجيريا يلتقي بالمسلم القادم من أندونسيا أو الفلبين . ولذلك كان هذا اللقاء الجامع فرصة لتوجيه المسلمين إلى ماينفعهم

● حجة الوداع ●

ففي حجة الوداع كان النبي صلى الله عليه وسلم يشعر أن هذه الحجة آخر لقاء بينه وبين الناس لذلك كان يقول « أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا » .

« تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » « أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت » رواه ابن هشام في السيرة .

ولقد كانت حجة الوداع هذه مليئة بما يمكن أن يسمى بالتقرير الحقيقي لحقوق الانسان ، وحريات الشعوب ، وعالمية البشر ، والقواعد الانسانية النبيلة وحسن العلاقة بين الرجل والمرأة وأمور أخرى كثيرة .
وفي حجة أبى بكر التي حجها بالناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم تقرر فيها إلغاء المعاهدات غير المتكافئة بين المسلمين وغيرهم ، وتقرر إلى جانب هذا تنظيف المجتمع الداخلي للأمة الاسلامية من المشركين ومنع طواف العرايا بالبيت العتيق ، وانطلق المنادون وسط مضارب الخيام ومجامع الحجيج وملتقيات الناس يقولون « ألا لايحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان » اخرجه البخاري

فقد كان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم يستغلون موسم الحج استغلالا سياسيا عظيم الشأن حتى أن عمر بن الخطاب كان يستقدم عماله وولاته في موسم الحج ويحاسبهم على أعمالهم ويشاورهم فيما يحتاجون اليه من أمور وذلك على ملأ من جماهير المسلمين .

فما أحوج الأمة الاسلامية اليوم إلى استثمار موسم الحج واغتنام فرصته في عقد المؤتمرات واللقاءات التي تناقش قضايا المسلمين وتعمل على توحيد كلمتهم ولمّ شملهم وتنظيم صفوفهم وتحقيق التعاون والتكامل بينهم .

● مكر الاعداء ●

ولقد أدرك أعداء الاسلام منزلة الحج ودوره في تجميع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم فوجدنا بعضهم يتعرض لهذه الفريضة في كتاباته مقرنا حديثه عنها بحديثه عن الخلافة التي قتلت شر قتلة على يد مصطفى كمال اتاتورك عام (١٩٢٤)م وبإيعاز من الاستعمار فيقول « لوثروب ستودارد في كتابه » حاضر العالم الاسلامي :«لقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب أن الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يتشارك

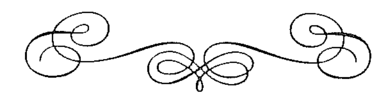
المسلمون ميولا وعواطف تشاركا مؤديا إلى الاعتزاز بالوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها . ولكن الأمر على الضد من ذلك فإن محمدا (في زعمه وليس الله) قد فرض الحج على من استطاعه فرضا مقدسا لذلك مازالت مكة المكرمة حتى اليوم مجتمعا يجتمع فيه كل عام أكثر من مليون حاج وافدين من كل رقعة من رقاع العالم الاسلامي ، وهناك أمام الكعبة المقدسة في مكة المكرمة يتعارف المسلمون على اختلاف الألسنة والأجناس ويتبادلون العواطف الدينية ويتباحثون في الشؤون الاسلامية .

إن الأغراض الاسلامية التي ينالها المسلمون على يد الحج معلومة لاتحتاج إلى كبير ايضاح بل يكفي أن نقول : إن الحج هو المؤتمر الاسلامي السنوي العام الذي فيه يتباحث نواب المسلمين الطارئين من أقطار المعمورة في مصالح الاسلام وفيه يقوم هؤلاء بوضع الخطط ورسم الطرائق للدفاع عن بيضة الاسلام والذب عن حياض المسلمين ونشر الدعوة في سبيل الرسالة » .

فأعداء الاسلام لاينامون ولايغفلون عنا لحظة واحدة بل يتربصون بنا الدوائر لإبعادنا عن الاسلام وتفريق كلمتنا وضرب وحدتنا وتشتيت شملنا . ولاحياة للمسلمين ولاعزة لهم إلا باليقظة الواعية لما يدور حولهم ، وبالمحاولة الصادقة في العودة الى الاسلام عقيدة وشريعة حتى يتحقق فيهم وعد الله سبحانه بالاستخلاف والتمكن في الأرض :

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** » النور / ٥٥ .

وحتى تعود هذه الأمة كما كانت من قبل امة واحدة متماسكة قوية متقدمة تعلو فوق الأمم وتتفوق عليها بما لديها من هداية ونور . فما أشد حاجتها إلى استغلال موسم الحج في معالجة المشكلات ومناقشة قضاياها الحيوية كقضية فلسطين والحرب العراقية الايرانية ، والخلافات والصراعات بين الأنظمة العربية والاسلامية . فاذا ماتحقق لقادة الأمة ذلك وخرجوا من حجتهم بحلول بناءة لهذه القضايا فقد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة وكشفوا الغمة التي طال زمانها على هذه الأمة حتى ضعفت وتأخرت وتداعت عليها الأمم واحتلت أرضها ونهبت خيراتها ، وأما إذا كانت الأخرى فما في أيدينا إلا أن ندعو الله سبحانه أن ينصر هذه الأمة ، ويوفق حكامها وأبناءها إلى مافيه خيرها وعزها وتقدمها .. وهو نعم المولى ونعم النصير .



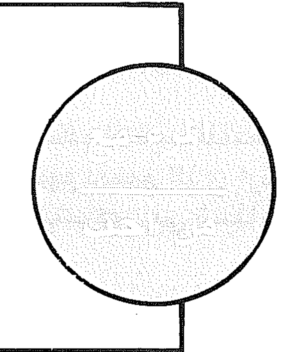
مائدة القارئ

بيت الله الآمن

قال تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ».

الآيتان ٩٦ و ٩٧ من سورة آل عمران

روي أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : متى الساعة يا رسول الله ؟! قال : (ما أعددت لها ؟) . قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله . قال : (أنت مع من أحببت) .



دعاء للحاج

قال الشافعي : ـ وأحب كلما حاذى الحجر الأسود ـ أن يكبر ، وأن يقول في رمله : « اللهم اجعله حجا مبرورا ، وذنبا مغفورا ، وسعيا مشكورا » .

ويقول في الطواف عند كل شوط : « رب اغفر وارحم ، واعف عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه كان يقول بين الركنين : « اللهم قنعني بما رقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف علي كل غائبة بخير »

تحية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فإذا فرغ من الصلاة ـ أي تحية المسجد ـ اتجه إلى القبر الشريف ، مستقبلا له ومستدبرا القبلة ، فيسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خيرة خلق الله من خلقه ، السلام عليك يا خير خلق الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين .

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه .

وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده .

بين يدي الدعاء

حتى يكون دعاؤنا أقرب إلى الاجابة ، ينبغي أن نقدم بين يديه الطاعة لله سبحانه وعبادته ، ثم ذكر الله تعالى وتسبيحه ، ثم يأتي الدعاء في المرتبة الثالثة

إن ابراهيم عليه السلام عندما أراد أن يدعو ربه قدم الذكر فقال : « الذي خلقني فهو يهدين » . ثم قال : « رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين » .

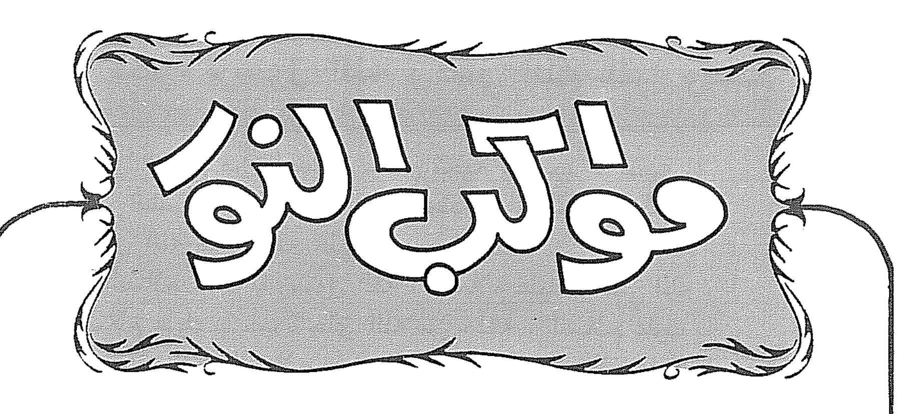
الصاحب في الغربة

تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، وبذله لاهله قربة . والعلم منار سبيل أهل الجنة ، والانيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء .

(معاذ بن جبل)

تصحيح آية

في مائدة العدد الماضي .. ورد خطأ غير مقصود في قوله تعالى : « واجعلني من ورثة جنة النعيم » حيث كتبت « جنة نعيم » . فلزم التنويه .



امام الروضة الشريفة بالمدينة المنورة

للاستاذ / محمود محمد بكر هلال

الحمد لله نلت اليوم غاياتي
وجئت روضة طه للتحيات

وحول بيت رسول الله قد غرقت
مواكب النور في نور النبوات

من كل فج أتى الزوار يدفعهم
حب المشفع مبعوث السموات

من مصر من تركيا والصين من عدن
ومن بخاري ومن أقصى المسافات

ومن نيجيريا وليبيا الكل في شغف
يطير بالقلب في أفق الضراعات

ومن جميع بقاع الأرض قد وفدوا
كالمد يزحف في موج المحيطات !!

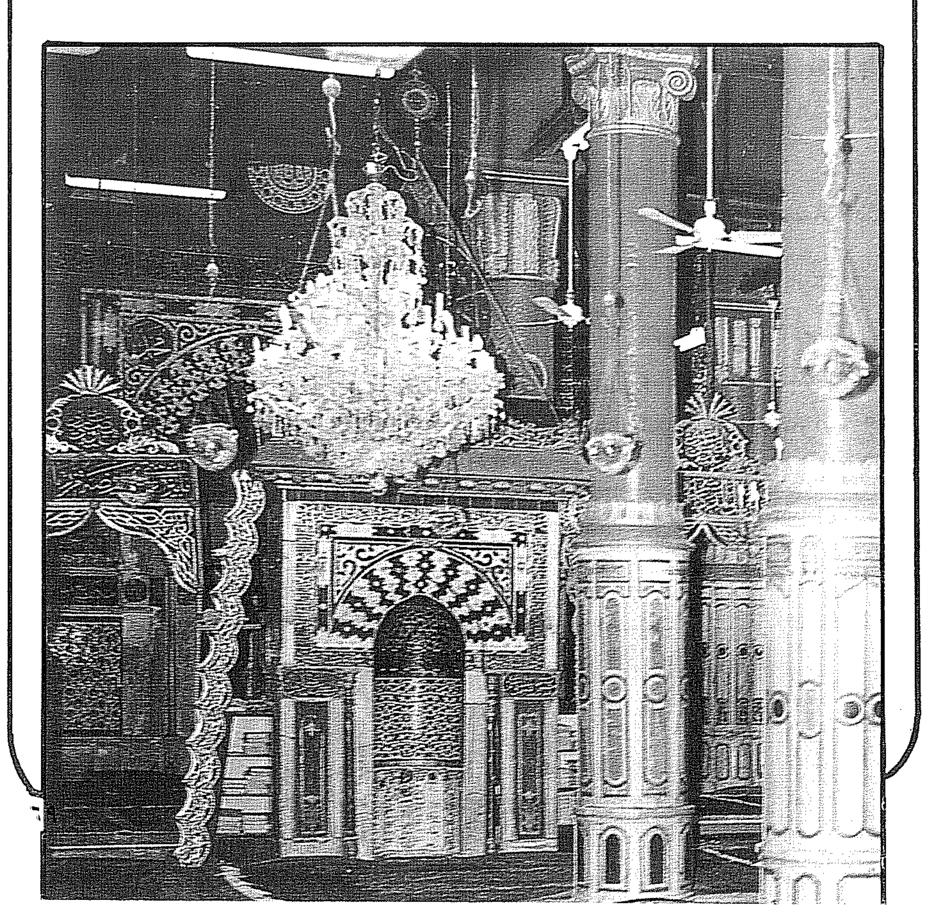
هذا يصلي وذا يدعو وذا ثمل
بالحب ينهل منه فيض كاسات

والكل يسعى ليحظى عند روضته
بنفحة من شذا طه بروضات

وحول منبره والروضة ازدهرت
مواكب شاقها المختار بالذات

راحت تصلي لعل الله يمنحها
ماتبتغي من رضاه بين جنات

ثم انثنت نحو قبر المصطفى وغدت
على الحبيب تصلي في تجلات



صلى لا له عليه كلما طلعت
شمس الغداة وغابت بالعشيات

فإنه سر هذا الكون أرسله
رب البرايا بقرآن وآيات

فأنقذ الخلق من جهل ومن ظلم
وحرر الناس في الماضي وفي الآتي

والآن تدرس أوروبا شريعته
وتنتقي من سناها ضوء مشكاة

يضيء ما أظلمت في كل ناحية
وتستقي منه أحكاما مضيئات !!

لعل فيها خلاصا من متاعبها
ومن أذاها ومن زيف وإعنات

فإنما دين طه للورى أمل
ومنقذ الكون من كل الضلالات

وسل رعاة البوادي كم اقام لهم
ملكا وشيد من أرقى الحضارات !!

وعلموا الناس حب الدين وانطلقوا
كالنور في الأرض يهدي كالمنارات !!

ودانت الفرس والأروام وانتهجت
سبيلهم فتسامت في المقامات !!

وشرعة الله مازالت منائرها
تهدي الحيارى وفيها خير منجاة

فسارعوا نحو هذا النبع وانتهلوا
فإن فيه شفاء الروح والذات

وفيه ري لمن تاهوا ومن ظمئوا
وفيه نهج لمن ضلوا المحجات !!

وذاك كالشمس في قلب النهار وهل
تحتاج شمس الضحى يوما لإثبات ؟

لاغرو فالدين مذ كان الوجود هدى
للناس وهو غياث في الملمات

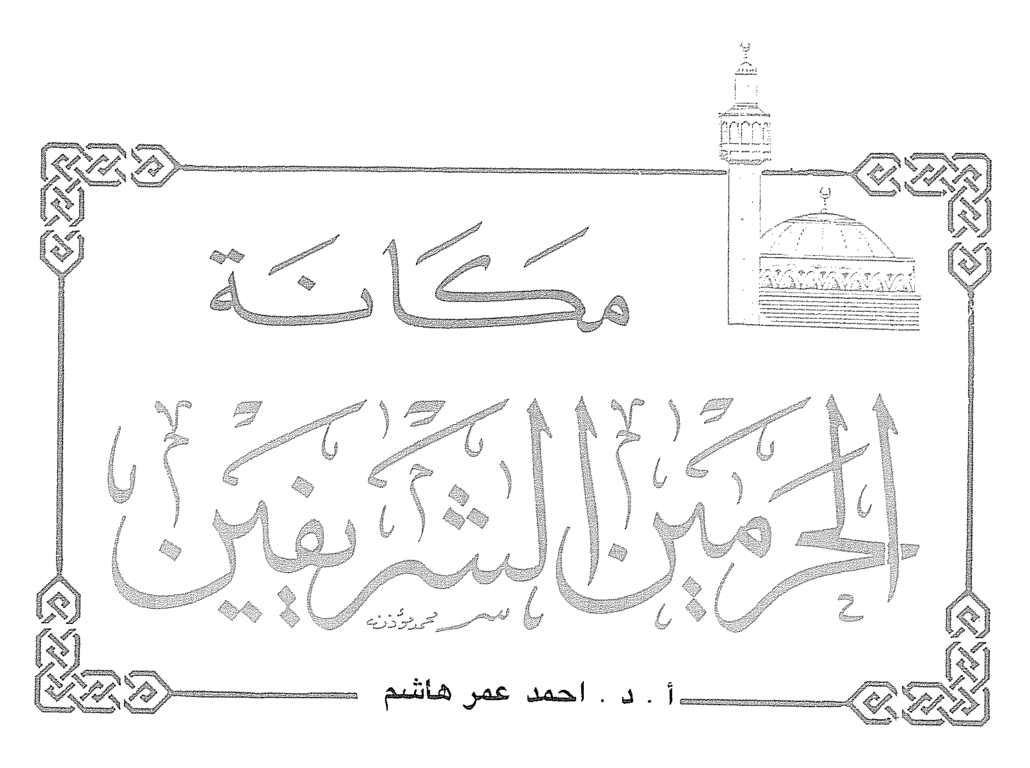
ينظم العيش في كل الحياة على
اسمى القواعد من عدل ومرضاة

وليس فيه اعتساف أو مجاوزة
لأى حد سما من غير اعنات

قد جاء طه به للناس مرحمة
يهدي النفوس وتسمو بالجبلات

صلى لاله على طه وعترته
اهل التقى والهدى اهل الكرامات

وصحبه ومن استنوا بسنته
ما شع نجم «مضيء» في السموات

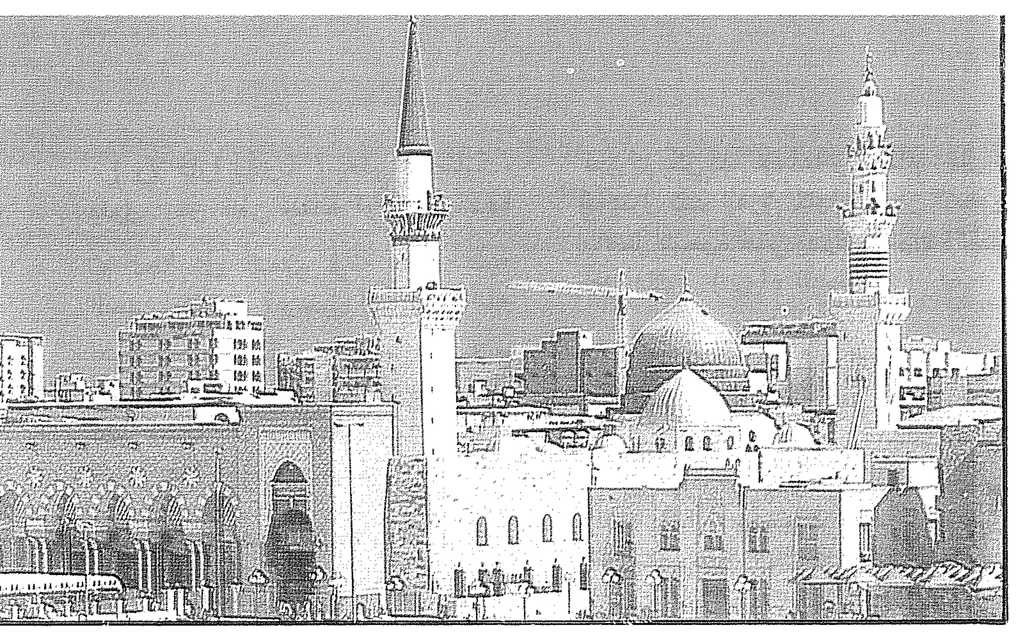


للمسجد الحرام مكانته العظيمة في الاسلام فهو اول بيت وضع للناس وهو مقر الأمن (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**) آل عمران ٩٦ و ٩٧

ويشير القرآن الكريم الى مكانة البيت الحرام في قول الله تعالى : (**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شىء عليم**) . (سورة المائدة : ٩٧)

فقد جعل الله تعالى البيت قياما للناس يقوم به أمر دينهم بالحج إليه وأمر دنياهم حيث أظله بالأمن فكان من دخله آمنا .. كما جعل سبحانه الأشهر الحرم قياما لهم بأمنهم القتال فيها .. واستجاب ربّ العزة سبحانه دعوة إبراهيم عليه السلام بالأمن والرخاء :

(**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود * وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير**) .سورة البقرة ١٢٥ و ١٢٦ .



لقد جعل الله البيت مثابة للناس يثوبون اليه ويرجعون اليه من كل جانب كما جعله مأمنا من الظلم ومن الإغارات التي تقع في أي مكان سواه .
لقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يزعجه ذلك ولا يهيجه . فضلا عن أن يقتله ـ وما ذلك إلا لحرمة البيت .
ولمكة المكرمة من الحرمة والعظمة مايجعل المؤمنين آمنين على عقيدتهم من الفتنة وآمنين على دمائهم أن تسفك ، آمنين على أموالهم أن تنهب وآمنين على أعراضهم أن تنتهك .
إنها حرم الله الآمن ومن أجل ذلك لا يحل حمل السلاح فيها عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يحل لأحدكم ان يحمل بمكة السلاح) رواه مسلم .
ولكن ليس معنى هذا ان يترك البغاة دون عقوبة تردعهم او أن يفر اليها جان بدم أو ظالم أو قاتل أو معتد على الحرمات وعلى الأمن ثم يلجأ الى الحرم .. لا ، فإن الحرم لا يعيد عاصيا ولا فارا بدم . عن ابي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي أيها الامير أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال .
(ان مكة حرّمها الله ولم يحرّمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب) .
فقيل لأبي شريح ما قال لك عمرو قال : (أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح إن الحرم لا يعيد عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة) رواه مسلم .
والخربة : تطلق على كل خيانة وفي صحيح البخاري انها البلية وقال الخليل.. هي الفساد في الدين وقيل هي العيب . وقال الترمذي ومعنى قوله

: (ولا فارا بخربة) يعني الجناية ، يقول : من جنى جناية او أصاب دما

ثم لجأ الى الحرم فإنه يقام عليه الحد . ولقد تبرأ رسول الله صلى الله

عليه وسلم من كل باغ يحمل السلاح على المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حمل علينا السلاح فليس منا) (رواه البخاري) .

هذا وقد وجه الاسلام أتباعه إلى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة أولي الامر . وامر حين تهب رياح الفتنة ان يلزم المسلمون الجماعة والإمام والا يتفرقوا بل عليهم ان يعتصموا بحبل الله جميعا .

(وقال حذيفة بن اليمان): كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني . فقلت يارسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر :

قال نعم : قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير : قال : نعم وفيه دخن (وهو الحقد وقيل : فساد القلب) .

قلت : وما دخنه . قال :(قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر).

قلت :(فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها).

قلت : يارسول الله صفهم لنا قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت :

فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام : قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك). (رواه البخاري) .

واذا كان لزوم جماعة المسلمين وإمامهم بهذه المثابة وهو أمر عام في جميع بلاد الاسلام . فما بالنا به في أشرف وأقدس بقعة على ظهر الأرض .. ما بالنا به في مهبط الوحي ومنطلق الرسالة ومنزل الملائكة وقبلة المسلمين إن لمكة المكرمة مكانتها التى لا تعادلها مكانة .

قال صلوات الله وسلامه عليه (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت رواه احمد وابن ماجه والترمذي وصححه .

وللمدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وللحرم النبوي الشريف من المكانة والحرمة ما يشير اليه رسولنا صلوات الله وسلامه عليه حين دعا لأهلها وبين حرمتها وأن من أحدث فيها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وعن أنس : ان النبي صلى الله عليه وسلم اشرف على المدينة فقال : (اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم) متفق عليه .

وللبخاري عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المدينة حرم من كذا الى كذا . لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) ولمسلم : عن عاصم الأحول قال :

سألت انساً : أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ قال : نعم هي حرام ولا يختلى خلاها فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن إبراهيم حرّم مكة واني حرّمت المدينة مابين لابتيها لا يقطع عضاهها ، ولا يصاد صيدها) رواه مسلم .

نعم إن من أحدث في الحرم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وان جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا هو ما حدده القرآن الكريم من العقوبة الرادعة لهم جزاء ماارتكبوه ، وعن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال : يارسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة .

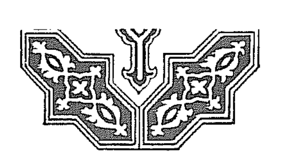
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقتلوه) رواه الأئمة الستة . قال مالك : قال ابن شهاب ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم محرما . ولمسلم : من حديث جابر (وعليه عمامة سوداء بغير إحرام) قال العلماء : انما قتله لأنه كان قد ارتد عن الاسلام وقتل مسلما كان يخدمه وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسبه وكانت له قينتان تغنيان بهجاء المسلمين وقال ابن عبد البر : فهذا القتل قود من دم مسلم ، وكذا قال الخطابي : لم ينفذ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان وقتله بحق ما جناه في الاسلام .

وقال النووي : فإن قيل : ففي الحديث الآخر : (من دخل المسجد فهو آمن فكيف قتله وهو متعلق بالأستار .

فالجواب : أنه لم يدخل في الأمان بل استثناه هو وابن أبي السرح والقينتين وأمر بقتله وان وجد معلقا بأستار الكعبة .

فإن الله تعالى يقول في شأن المسجد الحرام (**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**) .

ونلاحظ انه لم يعين مفعول الفعل (يرد) ليعم وليتناول كل مخالف والمعنى ـ والله اعلم ومن يرد أي ذنب أو مخالفة للاسلام بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب أليم . وقال العوفي عن ابن عباس (بظلم) هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم . كما وضحت الآية أن من خصوصية الحرم أن يعاقب من يريد فيه الشر إذا كان عازما عليه وإن لم يوقعه ، فما بالنا بمن يوقعه .. ؟

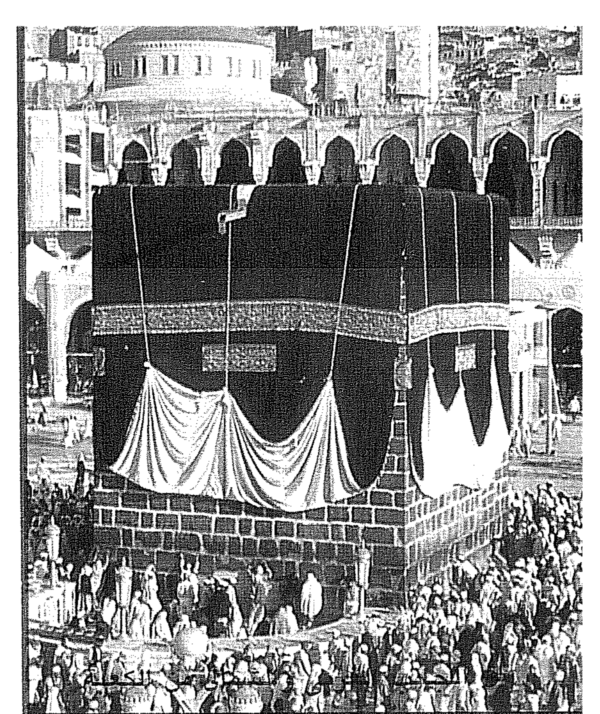


للاستاذ

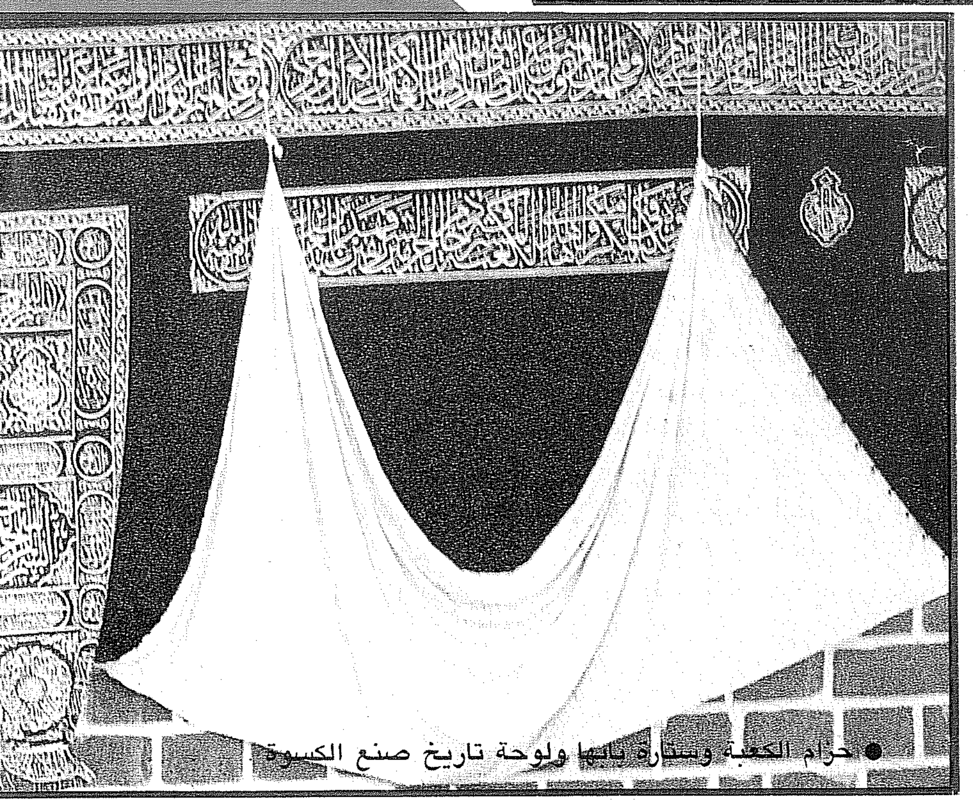
عبدالستار فيض

التصوير :

عظمت شيخ

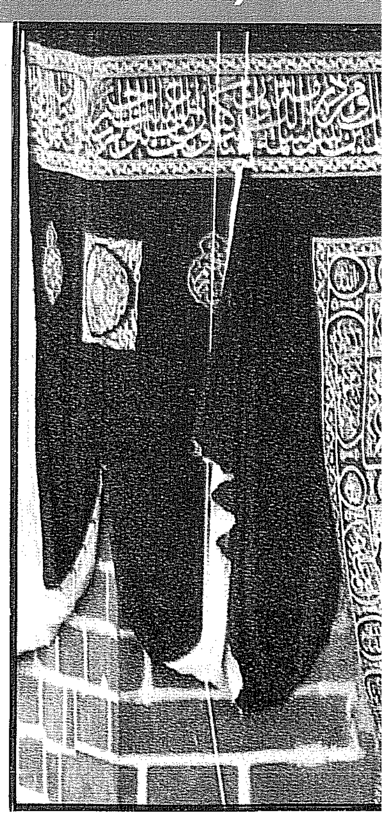


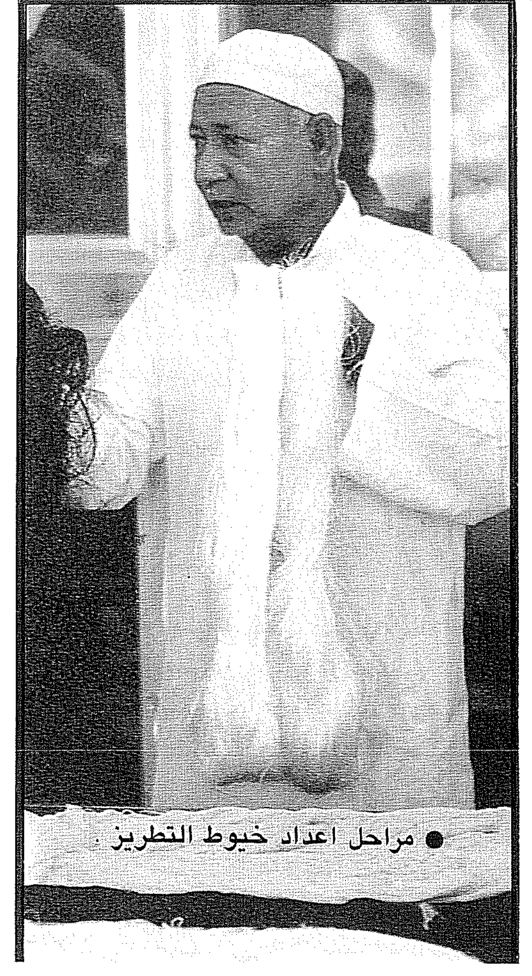
[illegible] الكعبة



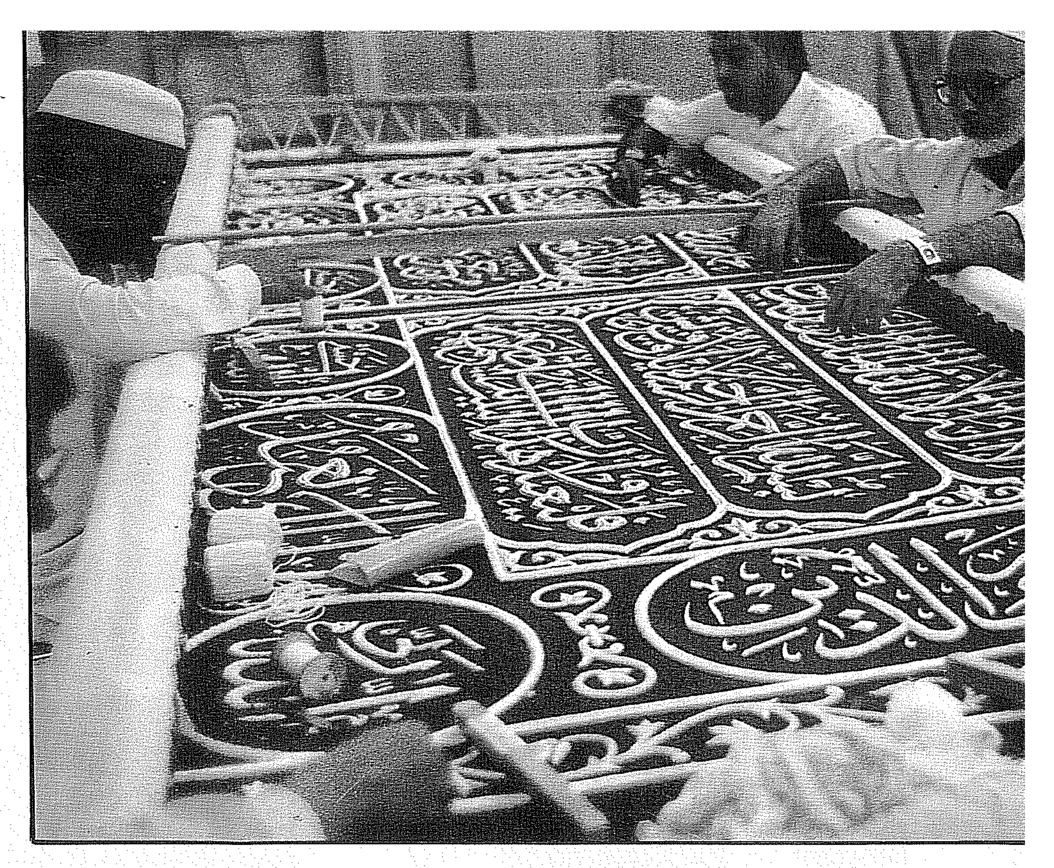
● حزام الكعبة وستارة بابها ولوحة تاريخ صنع الكسوة

كسوة الكعبة





● مراحل اعداد خيوط التطريز .



● الفنيون يجلسون على المنسج لتطريز ستارة باب الكعبة .

تعد كسوة الكعبة المشرفة من أهم مظاهر الاهتمام والتشريف والتبجيل للبيت الحرام ، ويرتبط تاريخ كسوة الكعبة بتاريخ الكعبة نفسها ، إذ يرى بعض العلماء أن إسماعيل عليه السلام قد كسا الكعبة ، كما ذكر بعضهم ايضا ان عدنان الجد الأعلى للرسول صلى الله عليه وسلم هو اول من كساها . ولكن الثابت

تاريخيا ان ابا كرب اسعد الحميرى ملك حمير وهو من قوم تبع اول من كساها وذلك قبل الهجرة بقرنين من الزمان . وقد كساها (الخصف) وهى ثياب سميكة ، ومازال يكسوها ويتدرج فى كسوتها من حسن إلى أحسن فكساها (المعافير) وهى ثياب

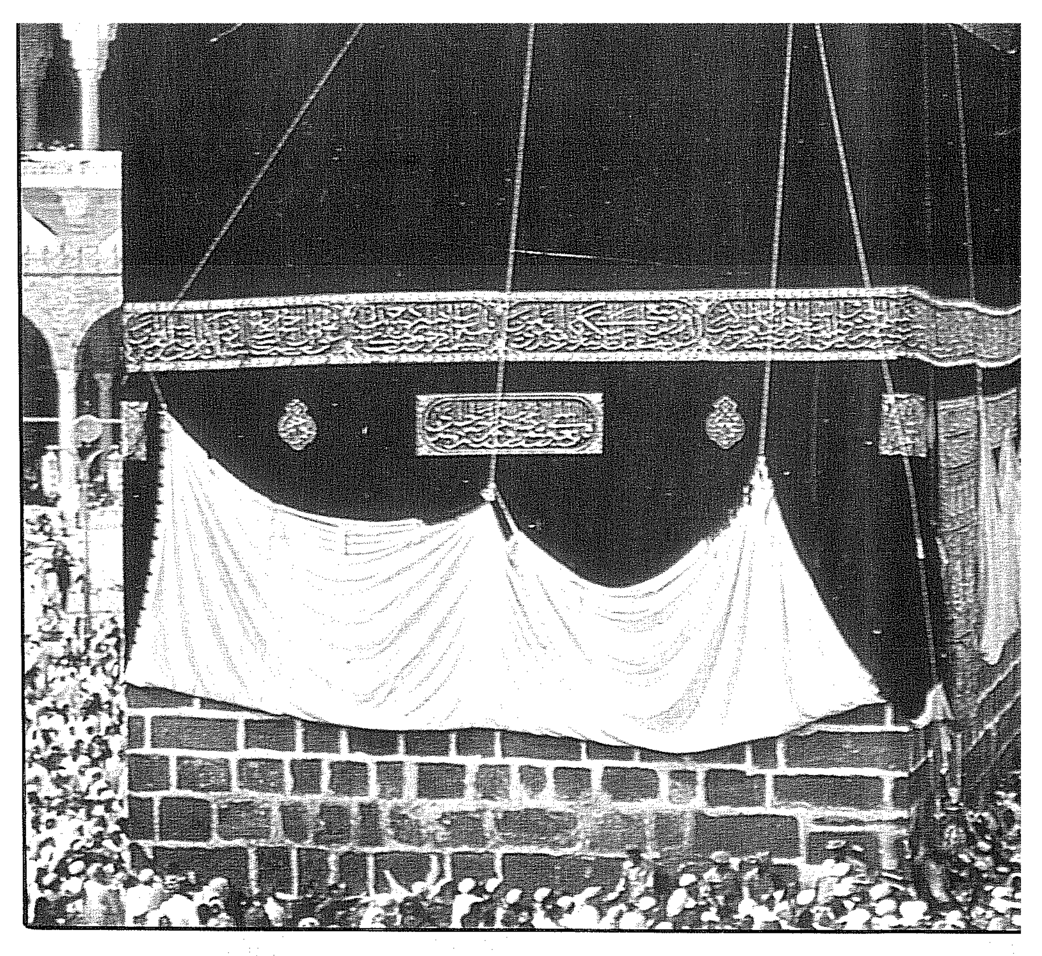
يمنية ، كما كساها كذلك (الملاء) وهى ثياب لينة رقيقة ، كما عمل لها بابا ومفتاحا ... ثم تبعه خلفاؤه من بعده فكانوا يكسونها (الوصايل) وهى اثواب حمر مخططة ، و (العصب) وهى اثواب يمنية يعصب غزلها اى يجمع ويشد المصبوغ منه مع غير المصبوغ فيأتى موشى ، و (المسوح) وهى أثواب من الشعر ، و (الأنطاع) وهى أثواب من الجلد .

ثم اخذ الناس بعد ذلك يقدمون إليها الهدايا من الكساوى المختلفة مثل (مطارف الخز) الخضر والصفر وهى أثواب من صوف أو شعر بعرض ذراع ، و (شقاق الشعر) وهى أثواب رقيقة طويلة ، و (كرار الخز) وهى أثواب حريرية ، و (النمار العراقية) وهى أثواب كانت تصنع للوسائد ، و (الحبرات اليمنية) وهى الأثواب المخططة ، و (الأنماط) وهى البسط السميكة وغير ذلك من شتى أنواع الثياب ، وكلما جاءت كسوة طرحت على سابقتها ، واذا بلى منها ثوب وضع عليه ثوب آخر ، إلى ان جاء عهد قصى بن كلاب ففرض على القبائل رفادة لكسوتها سنويا واستمر ذلك فى بنيه .

ومازالت قريش تكسو الكعبة حتى كان زمن أبى ربيعة المخزومى وكان ثريا فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة ، فوافقت قريش على ذلك ، وظل يفعل حتى



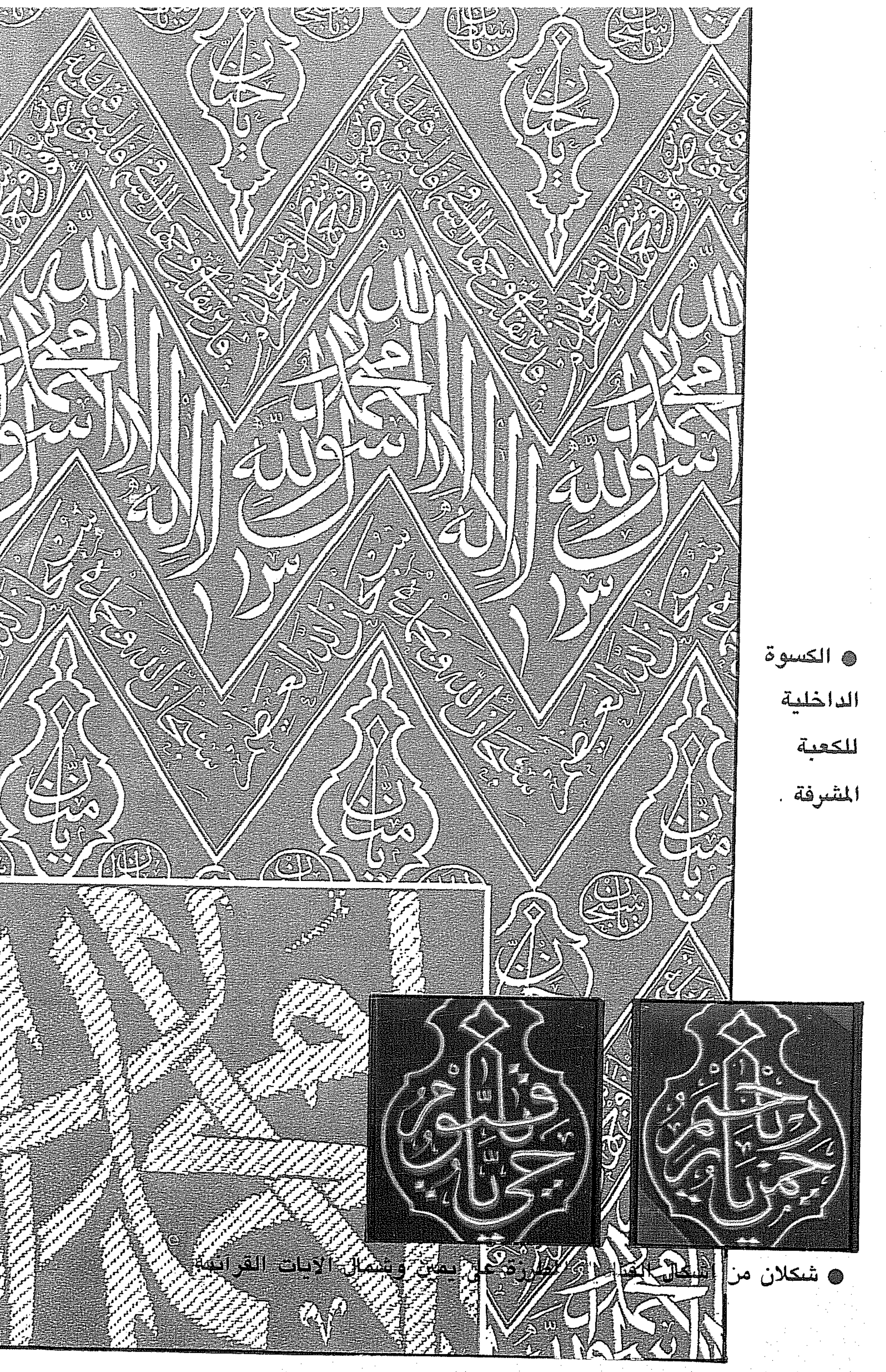
● تطريز سورة الاخلاص بخيوط الذهب والفضة .



● الجانب الشرقى والجنوبى من الكعبة .

مات وسمته قريش (العدل) لأنه عدل بفعله قريشا كلها . وجاء فى كتب الأولين ان أول امرأة كست الكعبة فى الجاهلية هى نبيلة بنت حباب أم العباس بن عبد المطلب ، كستها الحرير والديباج ، وسبب ذلك أنها ضلت ابنها (ضرارا) أخا العباس ، ونذرت إن وجدته لتكسون الكعبة ، فأتاها به رجل من خزام فوفت بما نذرت .

أما كسوتها فى صدر الاسلام فقد كان من الطبيعى ألا يشارك الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون فى كساء الكعبة قبل الفتح ، ذلك أن المشركين من قريش لم يتيحوا لهم هذا الامر الى ان تم فتح مكة ، فأبقي عليه الصلاة والسلام على كسوة الكعبة ولم يستبدلها حتى احترقت على يد امرأة كانت تريد تبخيرها ، فكساها الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه



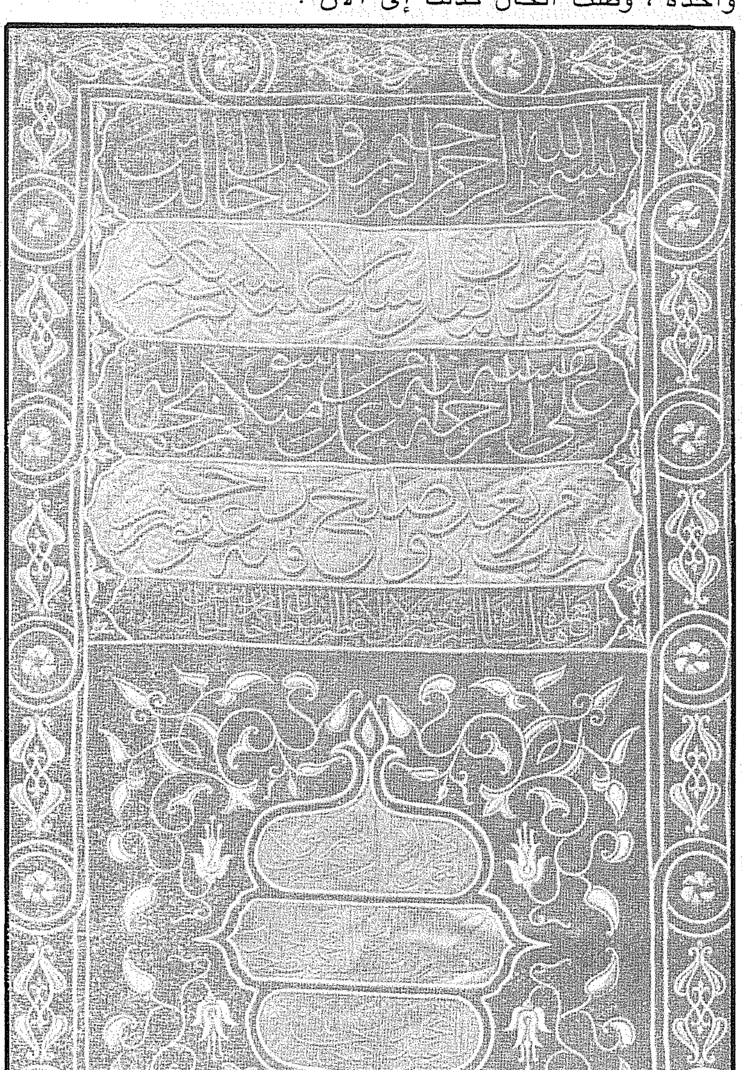
● الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة .

● شكلان من أشكال [illegible] المطرزة على يمين وشمال الآيات القرآنية

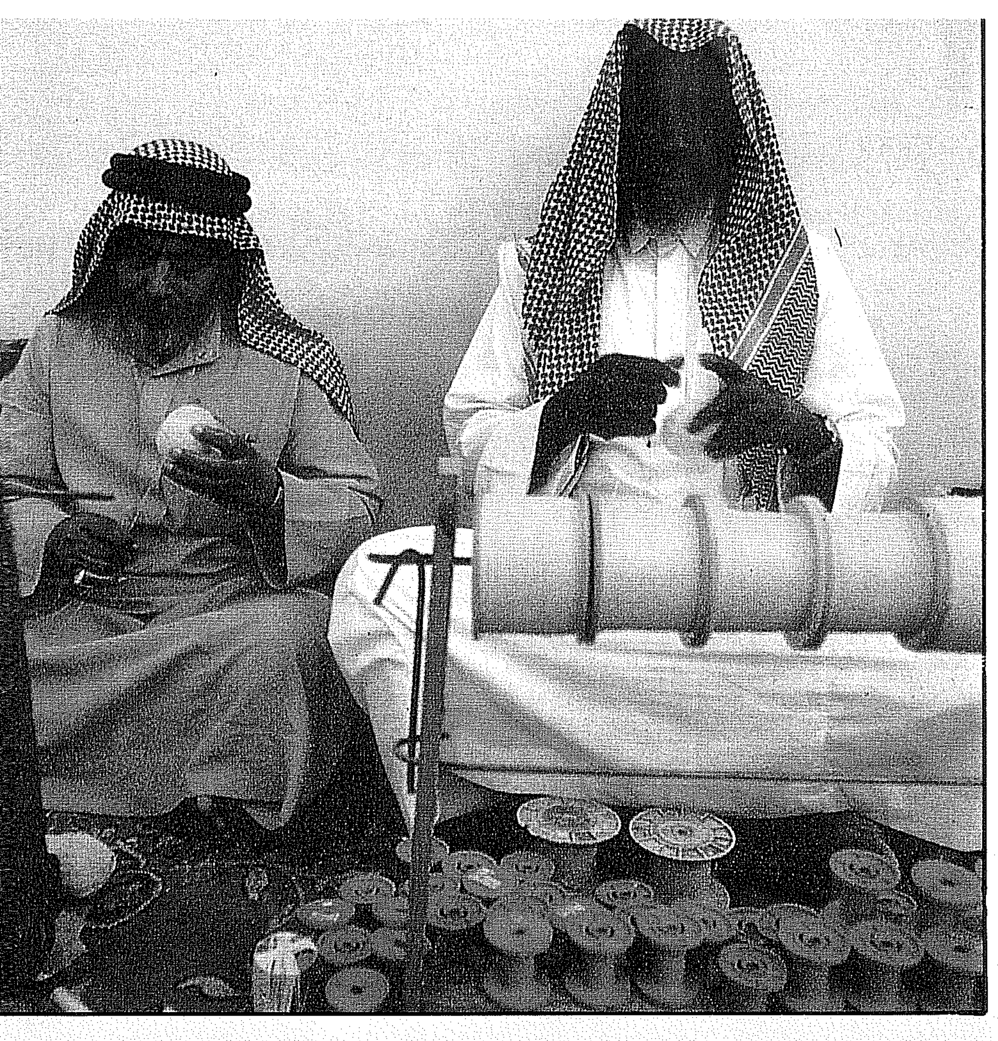
بالثياب اليمنية . وكساها بعدهما عمر وعثمان رضي الله عنهما (القباطى المصرية) وهى أثواب رقيقة بيضاء كانت تصنع فى مصر .

ولما كان عهد معاوية جعل لها كسوتين ، الديباج يوم عاشوراء ، والقباطى فى التاسع والعشرين من رمضان ، واستمر الحال كذلك فى عهد يزيد وابن الزبير وعبدالملك بن مروان .

وفى سنة مائة وستين من الهجرة حج المهدى العباسى فذكر له السدنة أن كساوى الكعبة كثرت . وأن البناء ضعيف ويخشى عليه من ثقلها فأمر بان تجرد منها ، وألا يسدل عليها الاكسوة واحدة ، وظلت الحال كذلك إلى الآن .



● ستارة باب التوبة الداخلية .

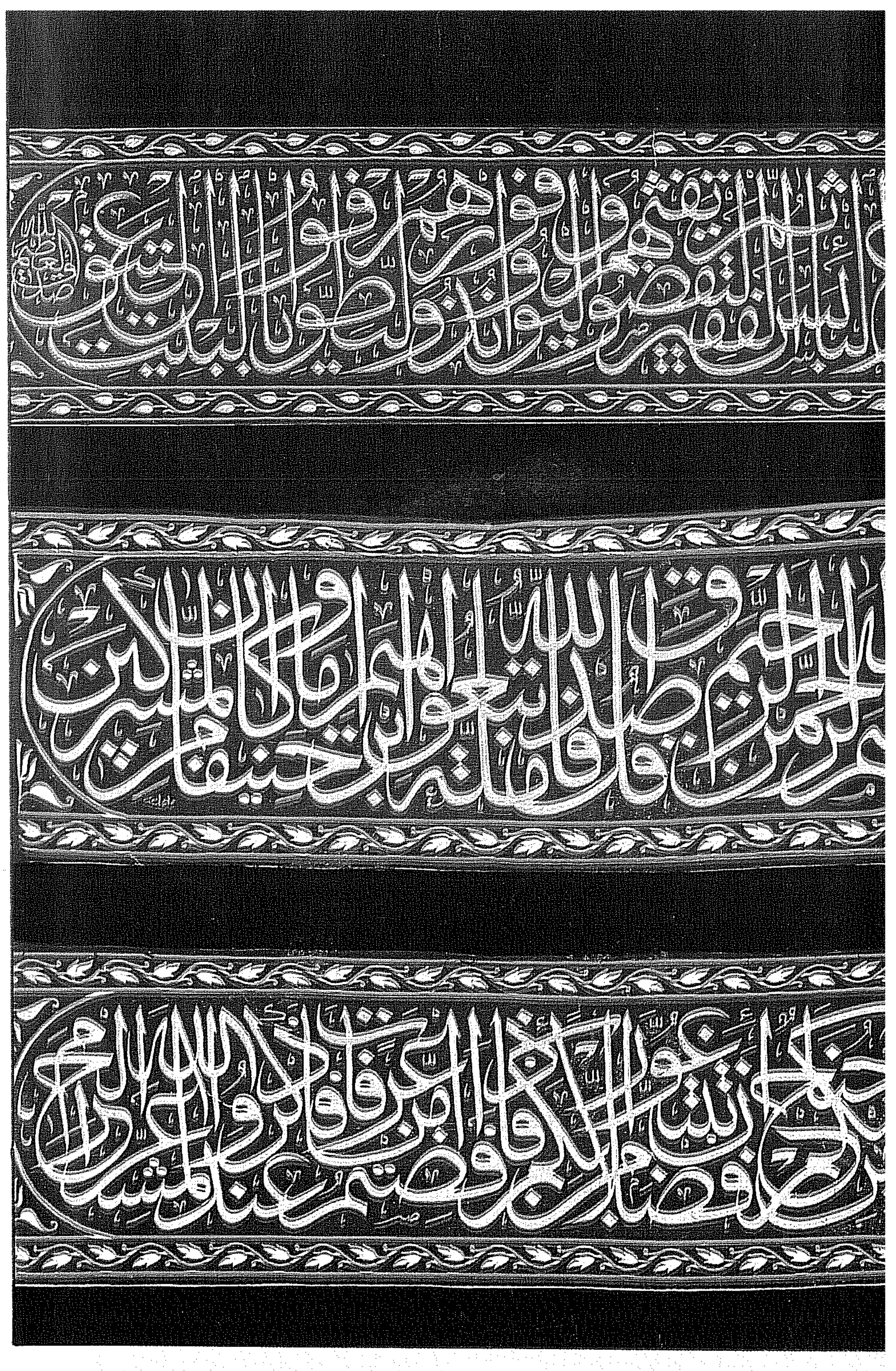


● لف الخيوط على البكر استعدادا للتطريز اليدوى .

أما الخليفة المأمون فقد كان يكسو الكعبة المشرفة ثلاث مرات فى السنة ، فيكسوها القباطى فى أول رجب ، والديباج الأبيض الذى استحدثه فى السابع والعشرين من رمضان ، والديباج الأحمر فى يوم التروية .

ثم كساها الناصر العباسى ثوبا أخضر ثم ثوبا أسود ومنذ ذلك التاريخ احتفظ باللون الأسود للكسوة .

وقد بالغ الخلفاء العباسيون فى العناية بكسوة الكعبة المشرفة علما بأن هذه العناية لم تفقد عند من سبقهم ، ولكن تطور فن النسيج والحياكة والصبغ والتلوين والتطريز والطلاء بماء الذهب والفضة جعل العباسيين يصلون الى ما لم يصل اليه من سبقهم فى الاتقان .



● نماذج من آيات حزام الكعبة المشرفة .

ومازال العباسيون يهتمون بأمر الكعبة حتى إذا ضعف أمرهم آل أمر الكسوة إلى ملوك مصر تارة وإلى ملوك اليمن تارة أخرى .

وأول حاكم سعى إلى كسوة الكعبة المشرفة بعد انقضاء دولة العباسيين هو الملك الظاهر بيبرس ، ثم كساها بعده الملك المظفر ملك اليمن عام ٦٥٩ هـ واستمر يكسوها بالتعاقب مع ملوك مصر ، إلى أن استقرت فى سلاطين مصر .

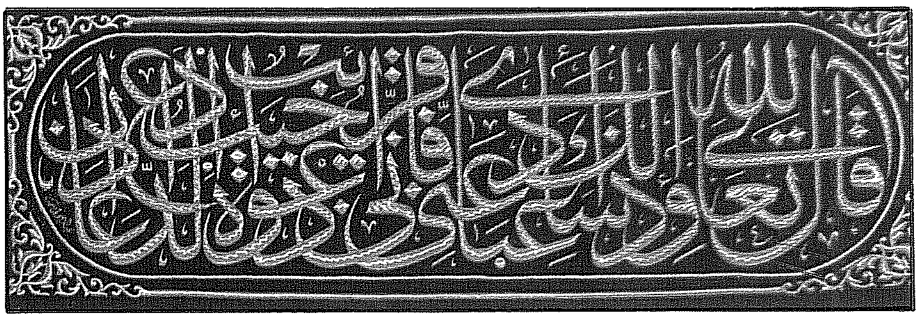
وفى عام ٧٥١ هـ أوقف الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر وقفا خاصا لكسوة الكعبة الخارجية السوداء مرة كل سنة ، وكسوة داخلية حمراء وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة مرة كل خمس سنوات .

ولما تولى محمد على باشا حكم مصر حل ذلك الوقف فى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، وأصبحت الكسوة الخارجية تصنع على نفقة الحكومة المصرية ، واختصت تركيا ومن يتولى السلطنة من آل عثمان بكسوة الكعبة الداخلية ، وكسوة الحجرة النبوية الشريفة .

● كسوة الكعبة المشرفة ويرى واضحا تداخل النسيج بطريقة (الجاكار) ليشكل كلمة « لا اله الا الله . محمد رسول الله » .







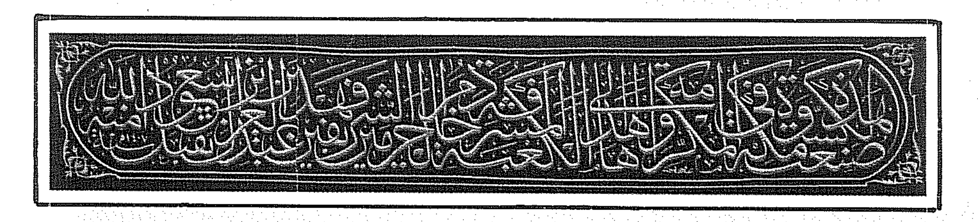


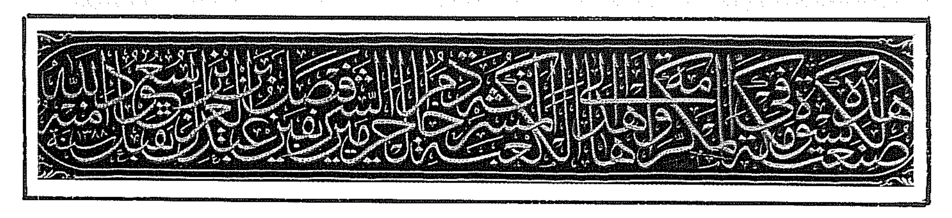
● الآيات الثلاث الموضوعة تحت حزام الكعبة

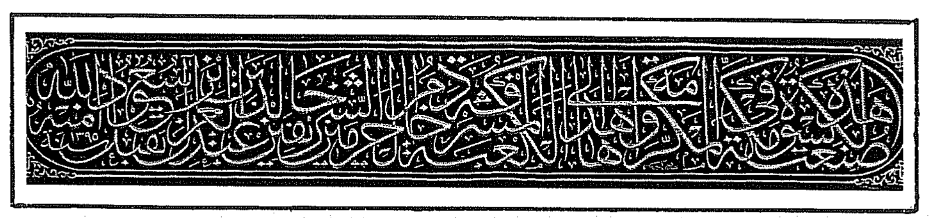
ومنذ ذلك الوقت صارت الكسوة المباركة ترسل من مصر سنويا وهى ثماني ستائر من الحرير الأسود المكتوب بالنسيج فى كل مكان فيه « لا إله الا الله ، محمد رسول الله وطول كل ستارة نحو خمسة عشر مترا ومتوسط عرضها خمسة أمتار ، وكل ستارتين تعلقان على جهة من جهات الكعبة الأربع . فتربطان من أعلاها فى حلقات من الحديد مثبتة فى سقف الكعبة ، ثم تربطان ببعضهما بوساطة عرى وأزرار ، وتثبتان من أسفل فى حلقات الشاذوران وهكذا كلما وضعت ستارة تربط فى التى بجوارها

بوساطة هذه الازرار ، حتى إذا انتهت كلها صارت كالقميص المربع ، ثم يوضع على محيط البيت المعظم فوق هذه الستائر فيما دون ثلثها الاعلى حزام مركب من اربع قطع مكتوب عليها بالخط العربى الجميل آيات قرآنية كتبها مع غيرها من أعمال الكسوة الشريفة فى زمن خديوى مصر إسماعيل الخطاط عبدالله بك زهدى ، وهى آيات تتعلق بالبيت العتيق وبفريضة الحج ، ويضاف إلى هذه الآيات لوحة تبين تاريخ صنع الكسوة ، واسم من أمر بصنعها .

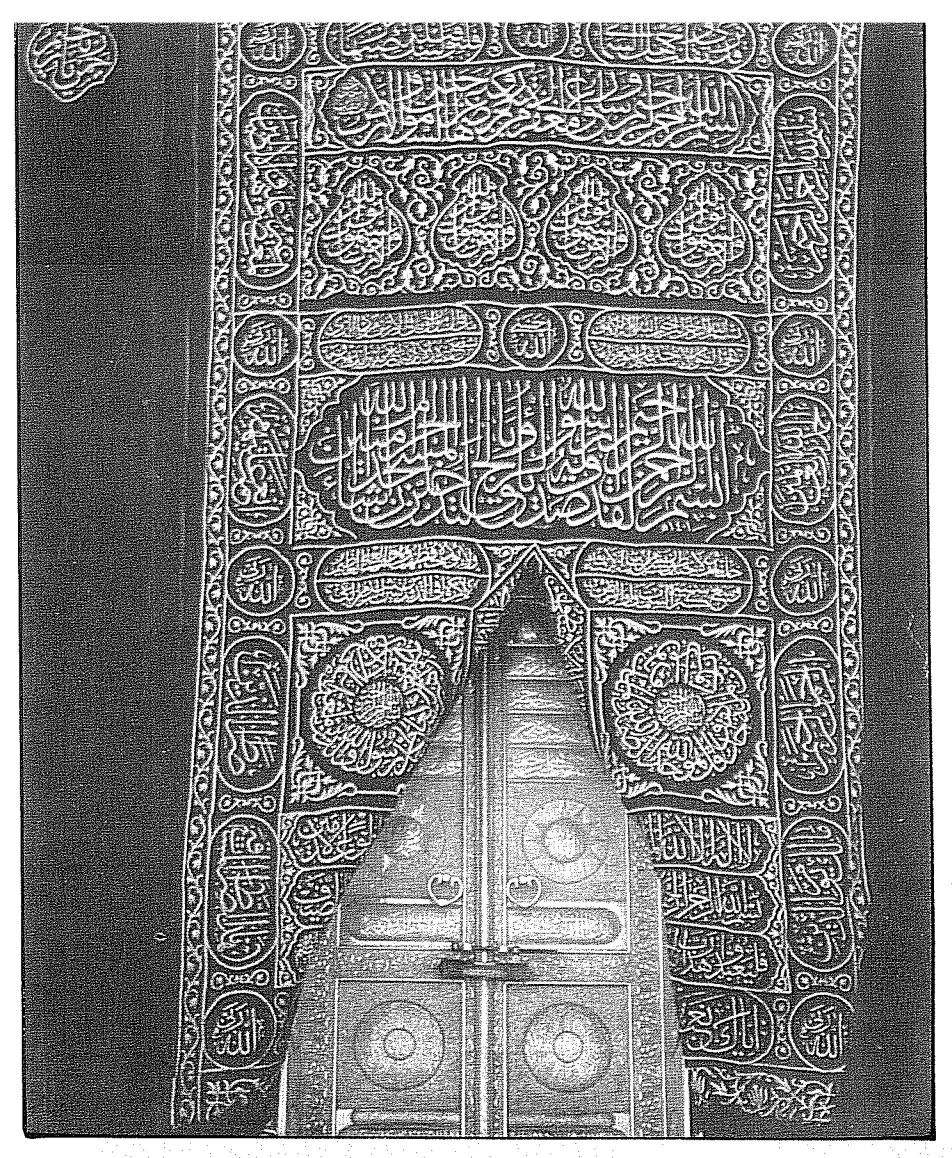
وهذه الكسوة كانت تصنع فى بدء أمرها بمدينة « تنيس » المصرية شمال دمياط . وكان لهذه المدينة شهرة عظيمة فى صناعة المنسوجات الثمينة ثم أقيمت لها دار فسيحة بمدينة القاهرة فى منطقة تسمى بالخرنفش . وبجانب صناعة الكسوة الشريفة كانت تصنع فى هذه الدار ستارة باب الكعبة الخارجية ، وستارة باب التوبة الداخلية . وكيس مفتاح بيت الله الحرام ، وكسوة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، وستارة باب منبر الحرم الشريف .







● لوحات تاريخ صنع الكسوة المشرفة فى عهود مختلفة .



● ستارة باب الكعبة المشرفة .

وعند إتمام عمل الكسوة يقام لها احتفال كبير فى منتصف شهر ذى القعدة ، يحضره خديوى مصر أو نائبه فيسيرون فى موكب عظيم من ميدان القلعة إلى مسجد الامام الحسين ، ومن هناك تطوى فى صناديق وترسل مع ركب المحمل إلى مكة المكرمة ، حيث تسلم الكسوة للشيبى القائم بسدانة الكعبة وتبقى فى منزله إلى صباح يوم النحر فيؤتى بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة بعد إنزال الكسوة القديمة .

وأول من ابتدع فكرة عرض الكسوة على هودج عرف بالمحمل هى الملكة شجرة الدر عام ٦٤٥ هـ زوجة السلطان الصالح نجم

الدين أيوب وحذت بعض الأقطار العربية حذوها ، وأصبح بذلك سنة متبعة سنوية حتى منتصف القرن العشرين .

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى واستولى الانجليز على مصر خشيت تركيا أن يمنع الانجليز المصريين من إرسال الكسوة فصنعت كسوة وأرسلتها إلى الحجاز ، إلا أن الانجليزلم يعترضوا على إرسال مصر للكسوة فى موعدها ، فاحتفظ الشريف حسين بالكسوة التى أرسلتها تركيا إلى عام ١٣٤١ هـ . ففى تلك السنة منع الشريف حسين دخول البعثة المصرية ورجعت كسوة الحكومة المصرية . وكسا الشريف حسين الكعبة المشرفة هذا العام بالكسوة التركية التى كانت محفوظة لديه .

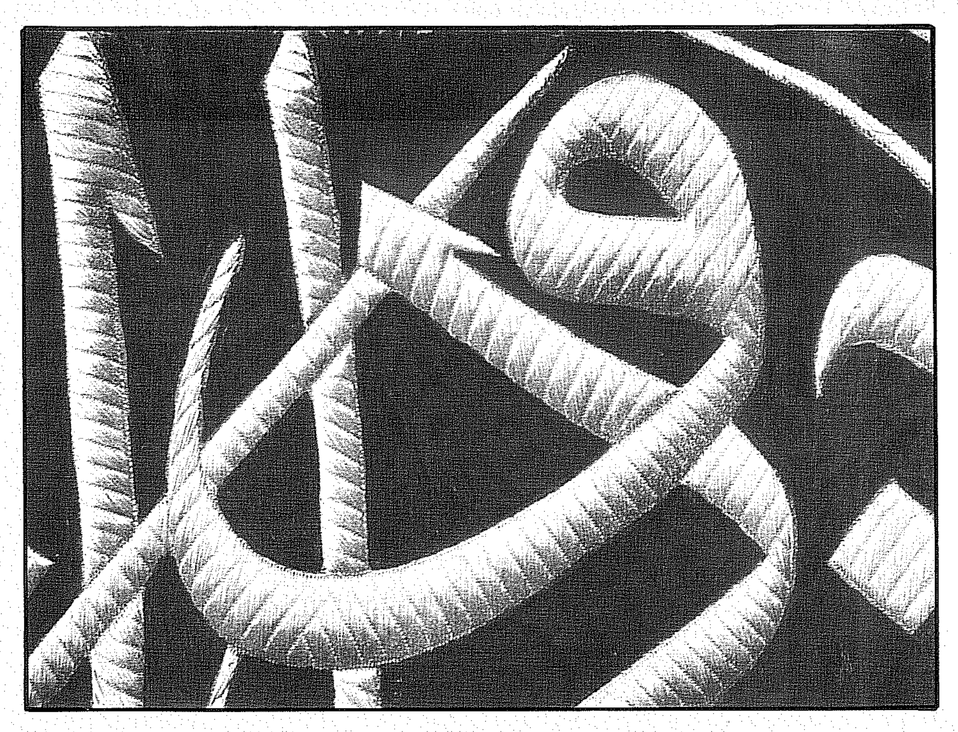
وفى عام ١٣٤٢ هـ أرسلت مصر كسوتها كالمعتاد ولم يعترض عليها أحد وفى عام ١٣٤٣ هـ سيطر الملك عبدالعزيز آل سعود على مكة ولم تستطع مصر إرسال الكسوة بسبب حالة الاضطراب والحرب فكسيت الكعبة بكسوة عراقية .

وفى عام ١٣٤٤ هـ عادت مصر لكسوة الكعبة إلا أنه فى عام ١٣٤٥ هـ اختلفت حكومة مصر مع الحكومة السعودية وامتنعت عن إرسال الكسوة فتكفلت الحكومة السعودية بها .

وفى محرم عام ١٤٤٦ هـ أنشأت الحكومة السعودية مصنعا للكسوة الشريفة فى مكة المكرمة وأحضرت له الفنيين والعمال الذين يجيدون التطريز والحياكة ، ونجح المشروع وأصبحت الكعبة تكسى من مصنع ام القرى لمدة عشر سنوات حتى عام ١٣٥٦ هـ ثم سويت الخلافات بين مصر والسعودية وعادت مصر الى كسوة الكعبة سنويا من جديد .

وفى عام ١٣٨٢ هـ وفى عهد الملك سعود توترت العلاقات بين مصر والسعودية مرة ثانية ورفضت الحكومة السعودية قبول الكسوة المصرية وعادت الباخرة المصرية التى تحمل الكسوة الى مصر ، وكانت هذه آخر كسوة صنعتها مصر للكعبة المشرفة .

وفى عام ١٣٨٢ هـ صدر أمر ملكى سعودى بتجديد مصنع الكسوة الذى أنشىء عام ١٣٤٦ هـ فى عهد الملك عبدالعزيز واستمر هذا المصنع فى إنتاج ثوب الكعبة المشرفة حتى عام ١٣٩٧ هـ حيث تم افتتاح المبنى الجديد فى ام الجود وزود بماكينات تحضير النسيج الآلية مع الابقاء على أسلوب الانتاج



● حرف الواو كما يبدو مكبرا ومطرزا .

اليدوى لما له من قيمة فنية عالية . ومازال المصنع يواكب عجلة التطور ، وإحياء التراث العريق فى آن واحد لينتج كسوة البيت فى أبهى صورها .

وصف الكسوة الحالية :

تنسج الكسوة الحالية من الحرير الطبيعى الخالص المصبوغ باللون الأسود ، وقد نقش عليه بطريقة (الجاكار) عبارات « لااله إلا الله ، محمد رسول الله ، الله جل جلاله ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » فى تشكيلات هندسية بديعة . ويبلغ ارتفاع الثوب (١٤) مترا يوجد فى الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض ٩٥ سم مكتوب عليه آيات قرآنية

بالخط الثلث المركب ، وهذه الآيات محاطة بإطار من الزخارف الاسلامية ، ويطرز الحزام بتطريز بارز مغطى بسلك فضى مطلى بالذهب ، ويحيط الحزام بالكسوة كلها ، ويبلغ طوله (٤٧) مترا ويتألف من (١٦) قطعة بداخلها الآيات التالية : من الجهة الشرقية التى فيها باب الكعبة .

١ - بسم الله الرحمن الرحيم . وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .

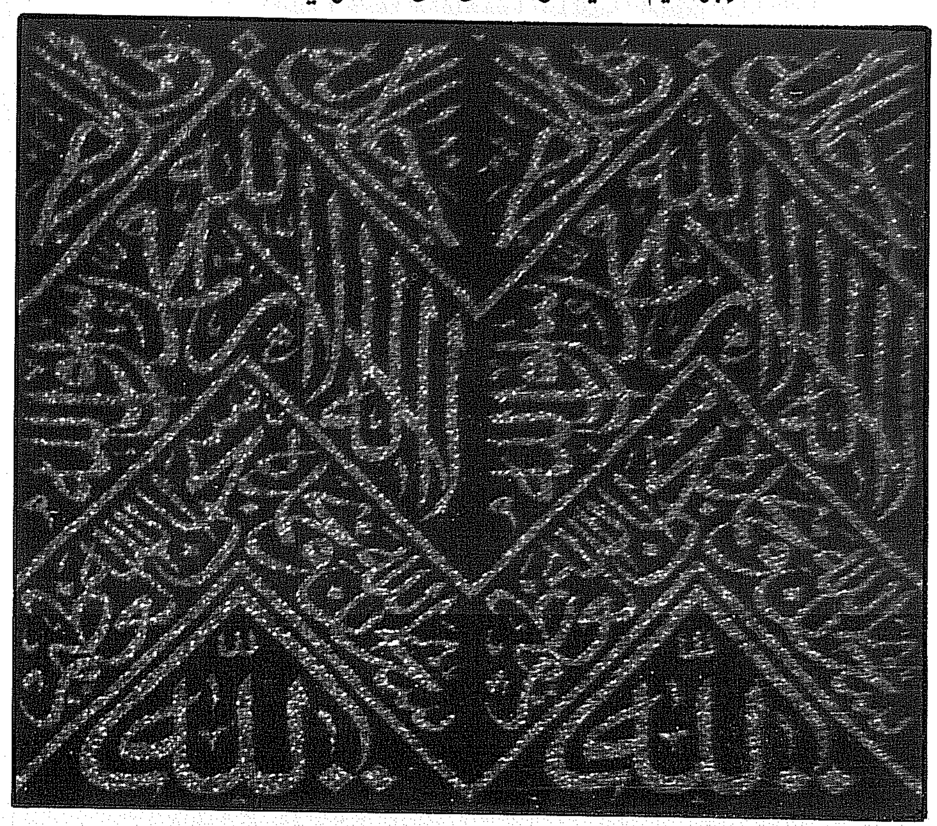
٢ - وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود .

٣ - واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

٤ - ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

وعلى الجهة الجنوبية التى فيها الحجر الاسود :

٥ - بسم الله الرحمن الرحيم . قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين .



● نسيج (الجاكار) المنسوجة منه ستارة الكعبة وتبدو الكتابات المنسوجة فيه واضحة

٦ - إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين .

٧ - فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا .

٨ - ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين .

وعلى الجهة الغربية :

٩ - بسم الله الرحمن الرحيم . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله .

١٠ - فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .

١١ - فكلوا منها واطعموا البائس الفقير .

١٢ - ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .

وعلى الجهة الشمالية التى بها الميزاب .

١٣ - « بسم الله الرحمن الرحيم . الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج

١٤ - وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب .

١٥ - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام .

١٦ - واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث أفاض الناس .

كما يوجد تحت الحزام على الأركان الأربعة سورة الاخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من

الزخارف الاسلامية . وعلى نفس الارتفاع وتحت الحزام أيضا توجد ثلاث آيات من القرآن الكريم مكتوبة كل منها داخل إطار منفصل وهى : على الجهة الجنوبية :



● سورة الاخلاص المطرزة على كل ركن من اركان الكعبة المشرفة .

قال تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان » .

وعلى الجهة الغربية :
قال تعالى : « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

وعلى الجهة الشمالية :
قال تعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » .

وعلى يمين كل آية من هذه الآيات يوجد شكل قنديل كتب

فيه (يا حى يا قيوم) وعلى يسارها قنديل مشابه كتب فيه (يا رحمن يا رحيم) .

أما ستارة باب الكعبة . ويطلق عليها اسم البرقع فمصنوعة من نفس القماش الحرير الأسود ويبلغ ارتفاعها سبعة أمتار ونصف المتر وعرضها أربعة أمتار ومنقوش عليها الآيات القرآنية التالية :

السطر الأول : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » .

السطر الثاني : « « بسم الله الرحمن الرحيم . وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

السطر الثالث : أربع دوائر داخل كل دائرة « الله نورالسموات والأرض » .

ثم كتب بعد ذلك «بسم الله الرحمن الرحيم . لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين» وتحيط بهذه الآية من أعلى ومن أسفل آية الكرسى ثم يلى ذلك من أسفل دائرتان داخل كل دائرة سورة الاخلاص وبين الدائرتين كتب :

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا » .

وتحت هذه الآيات ثلاثة أسطر هى :

لا إله إلا الله الملك الحق المبين ـ محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين«بسم الله الرحمن الرحيم . لإيلاف قريش إيلافهم ۝ رحلة الشتاء والصيف ۝ فليعبدوا رب هذا البيت ۝ الذى أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف»

ويحيط بهذه الآيات إطار كتبت فيه فاتحة الكتاب وبين كل آية وأخرى منها دائرة داخلها (الله ربى) وفى منتصف الاطار من أعلى ومن أسفل دائرتان داخل كل منهما كلمة (الله حسبى) وجميع هذه الآيات داخل زخارف إسلامية غاية فى الدقة والجمال

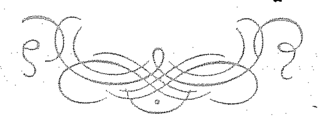
وعلى يمين ستارة باب الكعبة توجد لوحة أسفل الحزام ومطرزة بنفس تطريز الحزام سجل فيها تاريخ صنع الكسوة واسم من أهداها .

التطـــــريز :

بعد أن تتم صناعة النسيج تبدأ أهم مرحلة فى عملية صناعة الكسوة وهى مرحلة التطريز التى تتم أولا بوضع خيوط قطنية بكثافات مختلفة فوق الخطوط والزخارف المطبوعة على الأقمشة المشدودة على المنسج بحيث تشكل بروزا يرتفع عن مستوى سطح القماش ، ثم يطرز فوقها بخيوط متراصة من القطن الأصفر فى اتجاهات متقابلة ، وبدقة بالغة ليتكون الهيكل الأساسى البارز للتصميم ، ثم يغطى هذا التطريز بأسلاك من الفضة المطلية بالذهب فيتكون فى النهاية تطريز بارز مذهب يصل ارتفاعه فوق مستوى سطح القماش الى (٢ سم) الأمر الذى يستحيل تنفيذه بأية آلة ميكانيكية ، وتعمل الأيدى دون ملل او تعب فى تنفيذ تحفة فنية رائعة تتجلى فيها روعة الاتقان ودقة التنفيذ .

ويتم أخيرا تقسيم أقمشة الكسوة إلى مجموعات بحيث تشكل كل مجموعة جانبا من جوانب الكعبة مع المحافظة على التصميم الموجود عليها . كما يثبت على كل جانب الآيات المطرزة على الارتفاعات المحددة لها ، ثم يبطن كل جانب بأقشمة القلاع القوية فتزيد من متانتها وقوة تحملها . وهذا ينطبق ايضا على ستارة باب الكعبة ، حيث يتم تجميع خمس قطع مطرزة تشكل التصميم الموضوع بعضها إلى جانب بعض فى اتجاه رأسى وتبطن أيضا بالقماش السميك .

وبهذا تصبح الكسوة جاهزة لوضعها على الكعبة المشرفة فى التاسع من شهر ذى الحجة من كل عام وهو يوم وقوف الحجاج بعرفات ، حتى إذا أفاضوا وطافوا طواف الافاضة حول البيت ظهرت الكعبة فى حلتها الجديدة اللائقة بقداستها ومكانتها فى نفوس المسلمين .

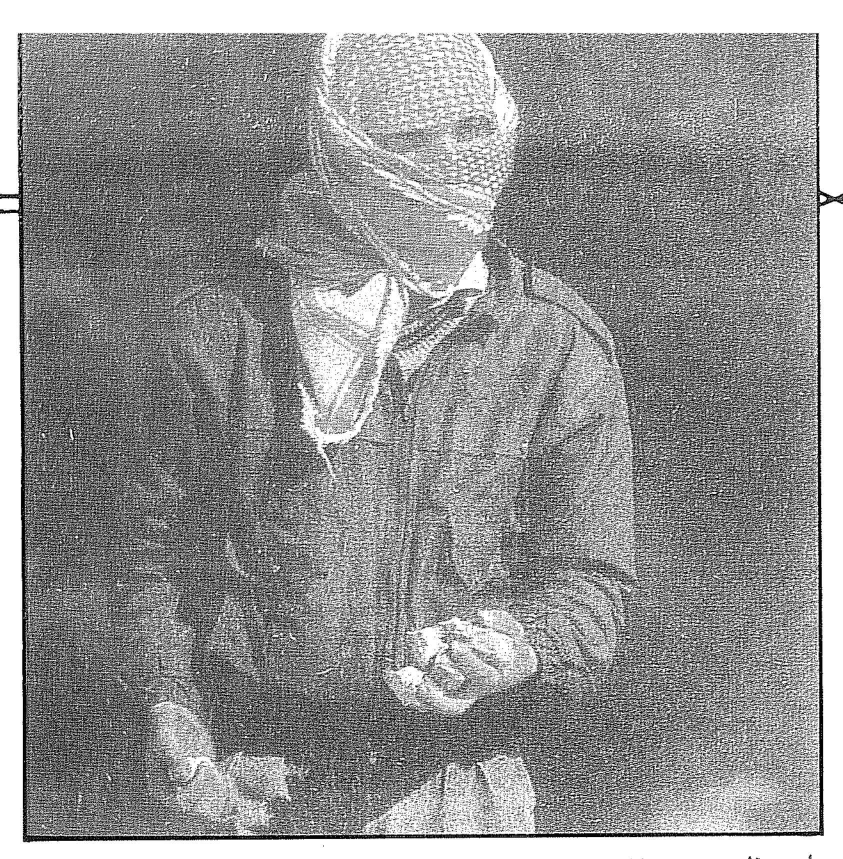


ثورتنا

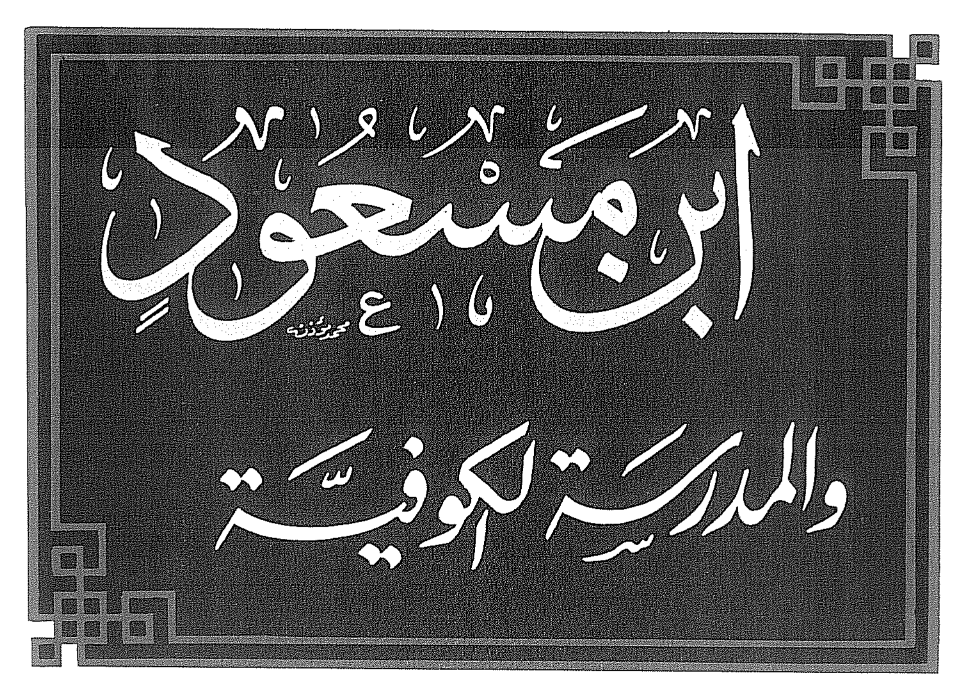
تمضي للنصر!

شعر محمود عبد الغفار دياب

باسم الله نحيي الثورة
ثورتنا تمضي للنصر
اشتدى ازمة تنفرجي
حققنا معجزة العصر
خرج المارد من قمقمه
يتحدى أوباش الدهر
ارضى بركان فوار
زلزال فجره القهر
هذا البعث الحق لشعبي
إما النصر، وإما القبر
من أبصر من قبل صبيا
يتحدى جيشا بالصخر
هذا الطفل فلسطيني
يذكره التاريخ بفخر



اعـزل الا مـن جـرأتـه
دومـا منقضـا كـالصـقـر
يـرمـي حجـرا مـن سجيـل
او مقـلاعـا يـودى الـعـمـر
كـرار كـالاسـد الضـارى
لا يخشى مـوتـا او ضر
هـل ابصـرتـم جنـد يـهـوذا
شتتـهـم حجـر كـالـبـعـر
سلمـت كفـك يـا ابـن بـلادي
اقتلـهـم ولتغـلي المـهـر
علـم كـل شـعـوب الـدنـيـا
كيـف يكـون كفـاح الحـر
واصبـر ان الصبـح قـريـب
آت .. آت .. ولنـا النصر
مـوعـدنـا بـالقـدس بـلادى
وفـداهـا ارخصنـا الـعـمـر



للدكتور/ عبدالجواد الخطيب

كانت الكوفة من أكثر الأمصار الاسلامية استقبالا للوافدين من هذيل ، وربما كانت من أشدها تأثرا بهم ، فقد كان رأس الوافدين اليها من هؤلاء الهذليين عبدالله بن مسعود الذي ولاه عمر بيت المال فيها ، فنزل بها ، وابتنى فيها دارا الى جانب المسجد .

وقد كان لابن مسعود منزلة علمية رفيعة ، فأقبل عليه الكوفيون يأخذون عنه العلم ، وكأنما قد زادهم تحفيا به ، وإقبالا عليه ما رأوه من تقدير الخلافة له ، واعظامها لشأنه ، فقد كتب اليهم أمير المؤمنين عمر :«إني بعثت اليكم بعبدالله بن مسعود معلما ووزيرا ، وآثرتكم به على نفسي فخذوا عنه » .

وكان ابن مسعود فقيها محدثا ، ومن الأعلام المشهورين في علوم القرآن وقراءاته ، وقد أقبل عليه الكوفيون ،

وتتلمذوا عليه ، في هذا الفرع من الدراسات القرآنية ، وكان كثير منهم يفضل قراءته على غيرها ، بل كانوا يتعصبون لها تعصبا شديدا ، وتخرج منهم على يده ، ويد تلاميذه كثير من مشاهير علماء القراءات في الكوفة من أمثال زر بن حبيش تلميذ ابن مسعود نفسه ، وأبي بكر بن عياش ، وعاصم ابن أبي النجود أحد القراء السبعة ، وشيخ الإقراء بالكوفة في عهده .

ومنهم سليمان بن مهران الأعمش ويحيى بن وثاب ، واستاذه مسروق ، وطلحة بن مصرف وغيرهم كثير .

وكذلك الربيع بن خيثم التابعي الكوفي أخذ القراءة عن ابن مسعود .
وأبو عمرو الشيباني عالم النحو واللغة والقراءات بالكوفة ، والذي كان يقرىء الناس بمسجدها له ايضا رواية عن ابن مسعود . ثم إن حمزة وهو أحد القراء السبعة تنتهي قراءته الى ابن مسعود .

والمفضل الضبي العالم النحوي اللغوي الراوية كان من القراء الذين أخذوا عن عاصم ، وعن الأعمش وكلاهما - كما سبق - تنتهي قراءته الى ابن مسعود .

وهكذا نجد ان تلاميذ عبدالله بن مسعود من قراء الكوفة أكثر من أن نحصيهم عَدّاً ، ومن هؤلاء بعض الهذليين أنفسهم مثل أبي عبيدة معن ابن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود الذي روى القراءة عن الأعمش ، ومحمد بن أبي عبيدة ، هذا وقد روى القراءة عن حمزة .
ولقد نرى مصداق ذلك واضحا فيما رواه علماء القراءات عن ابن مسعود وتلاميذه من قراءة فكلما وجدنا قراءة لعبدالله في موطن من مواطن القرآن الكريم تحمل اتجاها لغويا خاصا في أصوات اللين ، أو الهمز والتسهيل ، أو الادغام والاظهار ، أو التفخيم والامالة ، أو التجريد والزيادة ، أو اللزوم والتعدية .. أو غير ذلك من الظواهر اللغوية - وجدنا ذلك واضحا عند قراء الكوفة من تلاميذ مدرسته ..
ومن أمثلة ذلك انه حين تتجه قراءة ابن مسعود الى إحلال الضم محل الفتح في بعض الألفاظ كقراءته الآية الكريمة « **إن يمسسكم قرح** » آل عمران/ ١٤٠ بضم القاف بدلا من فتحها نجد هذه قراءة أصحابه من الكوفيين . كما نجد قراءة أغلب هؤلاء الكوفيين «**في عمد ممددة** » الهمزة/ ٩ بضم العين والميم لا بفتحهما ، وكذلك نجد قراءتهم : « **الا من اغترف غرفة بيده** » البقرة/ ٢٤٩ بضم الغين في «**غرفة**» بدلا من الفتح فيها .
ومن مظاهر قراءة الضم هذه ما روي عن ابن مسعود وطلحة والأعمش من قراءة قوله تعالى : (**عاليهم ثياب سندس**) الانسان/ ٢١ بالياء مضمومة .

وقراءة حمزة والكسائي : « **ما أخلفنا موعدك بملكنا** » طه/ ٨٧ بضم الميم ، وهما من أساطين قراء الكوفة .
وكذلك قراءة كثير من الكوفيين كأبي عبدالرحمن السلمي ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، والكسائي ، وطلحة بن مصرف : (**مالها من فواق**) ص/ ١٥ بضم الفاء بدلا من فتحها .

وجميع هؤلاء - كما أشرنا - من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة .

واذا وجدنا إيثار الكسر على الضم عند ابن مسعود في بعض الكلم كما في قوله تعالى : (**فصرهن اليك**) البقرة/ ٢٦٠ بكسر الصاد لا بضمها - ألفينا هذه القراءة شائعة في تلاميذه من الكوفيين .. كما نجد قراءته ، وقراءة يحيى بن وثاب ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي : (**خروا سجدا وبكيا**) مريم/ ٥٨ بكسر الباء .

وقرأ أصحاب ابن مسعود جميعهم ، وكثير ممن أخذوا القراءة عنهم كطلحة ابن وثاب ، والأعمش : (**واتخذ قوم موسى من حليهم**) الأعراف/١٤٨ بكسر الحاء .

واذا ألفينا عند ابن مسعود اتجاها الى كسر أول المضارع في بعض آيات الكتاب الكريم مثل قوله تعالى : (**لتركبن طبقا عن طبق**) الانشقاق/١٩ بكسر التاء - وجدنا هذه القراءة عند الأعمش في (**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**) البقرة/٦٠ بكسر التاء أيضا . وعند يحيى بن وثاب في « **ألم أعهد اليكم** » يس/٦٠ بكسر الهمزة من « **أعهد** » و « **إياك نعبد** » الفاتحة/٥ بكسر النون في «**نعبد**» .

وقراءته مع ابن مسعود «تيمنه » آل عمران/ ٧٥ بدلا من « تأمنه » و« **تيلمون** » بدلا من « **تألمون** » النساء/١٠٤ .

وقراءته مع زر بن حبيش والأعمش وكثير غيرهم «**نستعين** » الفاتحة/٥ بكسر النون .

واذا قرأ ابن مسعود «**رشدا**» بفتحتين متتاليتين في قوله تعالى : (**فإن آنستم منهم رشدا**) النساء/٦ .

نجد حمزة والكسائي - وهما من أبرز الأمثلة لمدرسة ابن مسعود يقرآن هذه القراءة نفسها في قوله تعالى : (**وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا**) الأعراف/١٤٦ .

هذا ونجد الإمالة حينما انتشرت بين قراء الكوفة لا يرجع انتشارها - في أغلب الظن - الى قبائل تميم وأسد المنبثين في البيئة الكوفية كما يقول بعض علماء اللغة من المحدثين ، بل تؤول الى ابن مسعود ، وتلاميذه من القراء ، فالقراءة مردها الى التلقي والتلقين فهي - في الحق - **سنة متبعة** .

ويؤيد ذلك ما يروي من أن عاصم بن أبي النجود ، وهو من الرعيل الأول من قراء الكوفة كانت تشتهر الامالة عنه في رواية أبي بكر ابن عياش وتقل في رواية حفص إذ إن عاصما ينبئنا أن القراءة التي أقرأها حفصا هي قراءته علي أبي عبدالرحمن السلمي عن علي ، وأن القراءة التي أقرأها أبا بكر ابن عياش هي القراءة التي قرأها على زر بن حبيش عن ابن مسعود .

ومن هنا ندرك ان إلامالة عند ابن عياش واستاذه عاصم راجعة في أصلها الى ابن مسعود .

هذا ، ومن أهم من اشتهروا بالإمالة من الكوفيين حمزة والكسائي والى ابن مسعود تنتهي قراءتهما . ثم إن الكسائي من تلاميذ حمزة ، وحمزة عرض على الأعمش والأعمش يجود حرف ابن مسعود واليه تنتهي قراءته .

أما بشأن وجود الهمز في بعض الألفاظ غير المهموزة ، فإن البيضاوي يذكر في تفسيره ان الكوفيين - غير حفص - قرأوا قوله تعالى : (**وأنى لهم التناوش**) سبأ/٥٢ بالهمز على قلب الواو «التناؤش» . وينسب ابن الجزري ذلك الى حمزة والكسائي وشعبة . وهذه قراءة أغلب الكوفيين عن ابن مسعود . أما حفص فقد تلقى قراءة عاصم التي تنتهي الى علي بن أبي طالب كما سبق أن ذكرنا .

واذا اجتمعت همزتان في الكلمة كما في الكلمات المبدوءة بالهمز حينما تجتمع في حال الاستفهام همزة الاستفهام وهمزة الكلمة مثل : أأنذرتهم ، أأعجمي في حال فتح الهمزة الثانية ، أإننا في حال كسرها ، أؤنبئكم في حال ضمها . أو كانت الهمزتان من صلب الكلمة وبنيتها مثل أئمة ، أؤم ـ اذا اجتمعت همزتان هكذا فانا نجد تحقيقهما معا سائدا بين قراء الكوفة ، ومن أهمهم حمزة ، والكسائي وأبوبكر وجميعهم تنتهي قراءتهم ـ كما عرفنا ـ الى ابن مسعود .

ومن حيث الاظهار والادغام اذا وجدنا قراءة ابن مسعود تميل الى الادغام في بعض حروف القرآن الكريم كما في قوله تعالى : (**قالوا سحران تظاهرا**) القصص/٤٨ حيث قرأها «**قالوا ساحران اظاهرا**» وجدنا هذه القراءة نفسها قراءة طلحة بن مصرف والأعمش ، فقد ذكر ابن خالويهأنها كذلك في حرف ابن مسعود ، وبه أخذ طلحة والأعمش ، لأنهما كانا يتبعان قراءته .

وكذلك الشأن في الآية الكريمة (**ولا تقربوهن حتى يطهرن**) البقرة/٢٢٢ فقد قرأها حمزة والكسائي «يطَّهرن» ، وهكذا قرأها عاصم في رواية أبي بكر بن عياش ، وجميعهم من تلاميذ ابن مسعود . هذا الى ما سبقت الاشارة اليه من أن قراءة أبي بكر بن عياش عن عاصم هي دائما قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود .

ومن مظاهر هذا التأثر والمشاركة في قراءة ابن مسعود وتلاميذه هؤلاء وجود صيغة «افتعل» في أفعال اشتهرت فيها صيغة أخرى كوجود «انتجي» في قراءتهم مكان تناجي ، فقد قرأ جمهور القراء : (**يأيها الذين أمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان**) المجادلة/٩ وقرأ عبدالله : « **إذا انتجيتم فلا تنتجوا** » ، ولهذا حين قرأ جمهور القراء ايضا : (**ويتناجون بالإثم والعدوان**) المجادلة/٨ نجد قراءة حمزة ، وطلحة ويحيى بن وثاب ، والأعمش : « **وينتجون بالإثم والعدوان**» .

ومما يؤكد ان هذه لغة ابن مسعود الى جانب قراءته وقراءة تلاميذه ـ قول الله تعالى : « **ما يكون من نجوى ثلاثة ...**) المجادلة/٦ اذ يضيف اليها ابن مسعود للتفسير قوله : اذا انتجوا » وهي هكذا في مصحفه .

وإذا كان ابن مسعود يقرأ قوله تعالى : « **تذروه الرياح** » الكهف/٤٥ « **تذريه** » من « **أذرى** » لا من الثلاثي « **ذرى** » ، ويقرأ قوله سبحانه « **ليميز الله الخبيث من الطيب** » الانفال/ ٣٧ « **ليُميز** » من « **أماز** » لا من الثلاثي « ماز » ـ ألفينا أثر ذلك عند طلحة ابن مصرف ، والأعمش ، والكسائى ، وكثير من الكوفيين الآخرين .

وكذلك الحال في قوله تعالى « **وانظر إلى العظام كيف ننشزها** » البقرة/ ٢٥٩ إذ نجد قراءة الكوفيين « **ننشرها** » من الانشار أي الاحياء ، وهذا وغيره سير « منهم في الاتجاه الذي أشرنا اليه » .

وقد نجد عكس هذا ، فبينما نجد قراءة الجمهور : « **وما ألتناهم** » الطور/ ٢١ من « ألات » ، فإن قراءة ابن مسعود « لتناهم » من « لات » وهذه قراءة طلحة والأعمش من تلاميذه الكوفيين .

وحين يقرأ جمهور القراء « **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي** » النحل/ ١٠٣ من « ألحد » نجد قراءة ابن مسعود « يَلحدون »وهذه هي نفسها قراءة يحيى بن وثاب ، والأعمش ، وطلحة ابن مصرف ، وآخرين من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة .

***

وإذا كان المشهور في صيغة المطاوع (انفعل) ان تجيء على البناء للفاعل . مألوف اللغة ، فإنا - مع هذا - نجد « انخسف » مبنيا للمفعول في حرف ابن مسعود ، فالآية الكريمة : « **لولا أن مَنّ الله علينا لخسف بنا** » القصص/ ٨٢ نجدها عنده « **لانْخُسِف بنا** » على البناء للمفعول في الفعل المطاوع لا في الفعل الثلاثي المجرد كما هو الشأن في قراءة جمهور القراء .
وقراءة ابن مسعود هذه نجدها عند طلحة والأعمش من تلاميذه الكوفيين .

***

هذه إشارات سريعة إلى قراءة ابن مسعود وتلاميذه بالكوفة ، وفي ضوئها يتضح ما كان لمدرسة الكوفة في القراءات من سمات خاصة لا يكاد يشاركها فيها أحد من غير الكوفيين إذا ما استثنينا الحسن البصري الذي نجد عنده بعض هذه السمات ، ولكنا لا نستشعر شيئا من الغرابة في ذلك إذ نجد الحسن يقول عن نفسه - فيما ينقله إلينا الزبيدي - إنه قضى شطرا من عمره في هذيل ، وهذيل هذه قبيلة ابن مسعود كما هو معلوم.

وقد كان لهذه السمات التي تتسم بها مدرسة القراءات بالكوفة أثرها في الاتجاهات النحوية للمذهب الكوفي ، وقد ساعد على هذا أن كثيرا من هؤلاء القراء كانوا من علماء اللغة والنحو بالكوفة كالمفضل الضبي ، وأبى عمرو الشيباني ، وقد سبقت إليهما الاشارة . وكذلك الفراء النحوي الكوفي المعروف كان هو ايضا قارئا روى القراءة عن أبي بكر بن عياش ، وعلي بن حمزة الكسائي .

ومحمد بن الحسن بن يونس أبو العباس الهذلي المعدود في نحاة الكوفة كان هو الآخر من القراء ، وكان هنالك غير هؤلاء عدد غير قليل من النحاة القراء ، بل إن رأس مدرسة الكوفة النحوية وهو الكسائي كان - كما عرفنا - من القراء السبعة المعروفين

لهذا كله كانت القراءات بعامة ، وقراءة ابن مسعود بخاصة ذات أثر عميق في مدرسة الكوفة النحوية ، وفي المنهج الذي انتهجه هؤلاء النحاة الكوفيون الذين اخذوا يعتدون بالقراءات ويعتبرونها مصدرا هاما من مصادر النحو الكوفي .

وقد طبعهم هذا الاتجاه بطابع الاعتماد على الاستدلال بالنصوص القرآنية والشعرية أكثر من اللجوء إلى القياس والتعليل العقلي ، وأنا لا أريد بهذا ان أباعد بين المذهب الكوفي وبين الأقيسة والعلل التي اتسم بها النحو العربي في أغلب مدارسه ، وعند الكثرة الكاثرة من علمائه ، بل إني أقصد إلى القول بأن نحاة الكوفة كانوا يفزعون إلى النصوص يستوحونها أدلتهم ، وإلى جانبها القياس والتعليل العقلي في شيء من القصد ، وقلما وجدناهم يوغلون في ذلك إلا في الخلاف النظري الذي كان بطبيعته لا تسعفهم فيه النصوص ، ولهذا اشتهر مذهبهم بالاعتماد على الشواهد مهما بلغت من القلة والندرة بل نجدهم يعتمدون على الشاهد الواحد أحيانا ، ويأبهون له في تقرير وجهة نظرهم إذا لم يجدوا من الشواهد الأخرى ما يسانده .

والبصريون ـ على عكس هذا ـ وإن كانوا يعنون بالنصوص ، فإنهم لا يعتمدون إلا على النصوص التي بلغت من التساند والتضافر والكثرة حدا يمكن معه الاعتماد عليها في تقرير قواعد النحو ومسائله . أما الشاهد الواحد ، والشواهد القليلة أو النادرة فإنهم يتجهون إلى توهينها ، والقول بشذوذها أو بأنها ضرورة شعرية إذا لم تكن موضع تأويل يردها إلى غيرها من النصوص .

ولم يكتف البصريون بتأويل بعض هذه النصوص الشعرية أو توهينها ، بل جاوزوا ذلك إلى مناقشة القراءات التي كان يعتمد عليها الكوفيون في استدلالهم ، فنراهم يتجهون إلى تأويلها ، أو يقولون بتطرق الوهن إليها ، وكثيرا ما تنقل المراجع إلينا أنهم كانوا أحيانا يستهجنون قراءة هؤلاء الكوفيين انفسهم إذا لم تواكب قواعدهم وأقيستهم ، فهذا عيسى بن عمر ـ أحد مشاهير علماء اللغة والنحو بالبصرة ـ يعترض على القارىء الكوفي طلحة بن مصرف في قراءة قرأها ، فيوجه إليه سهام النقد ماثلة في هذا الاستفهام الانكاري « **أتلحن** ؟ » فيرد عليه طلحة في كثير من الثقة والاعتزاز « نعم كما لحن اصحابي » .

وهكذا كان صنيع البصريين يقابل من جانب الكوفيين باعتزازهم وتمسكهم بالادلة النقلية ، ولا سيما تلك الأدلة القرآنية ، حتى إنهم ليذهبون إلى القول أحيانا بأن إجماع القراء على اتجاه لغوي في قراءتهم يعد دليلا على عدم جواز غيره .

ويتضح كل من هذين الاتجاهين في مسائل كثيرة من مسائل النحو ، ومن أمثلتها مسألة الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، فإن الكوفيين يذهبون إلى جواز ذلك في حال السعة والاختيار ، ويحتجون لصحة رأيهم بقراءة ابن عامر القارىء الشامي ، وأحد القراء السبعة المعروفين « **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم** » الانعام/ ١٣٧ بنصب « **اولادهم** » وجر « **شركائهم** » ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف .

ولكن البصريين يذهبون ـ في غير حق ـ إلى توهين هذه القراءة ، والقول بوهم قارئها ، مع تواترها وموافقتها للرسم في مصاحف أهل الشام ، ويقولون بأن الرسم في مصاحف أهل الحجاز والعراق (**شركاؤهم**) يدل على صحة ما ذهبوا إليه .

ومن الأمثلة الاخرى للتأثر بالقراءات في النحو الكوفي تأثرا كبيرا قراءة ابن مسعود للآية الكريمة : « **وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون إلا الله** » البقرة/ ٨٣ فإنه يقرؤها « **لا تعبدوا إلا الله** » ويستدل الكوفيون بهذا على جواز إعمال « **أن** » في الفعل وهي محذوفة . وليست غايتنا ان نؤكد صحة ما ذهبوا إليه ، فقد تكون « **لا** » هنا ناهية لا نافية ، ويكون المقام مقام جزم لا نصب ، ولكن المهم عندنا هو بيان منهج هذه المدرسة في الاستدلال .

ومن ذلك ايضا احتجاج هؤلاء النحاة من الكوفيين لجواز العطف على الضمير المجرور في حال السعة والاختيار دون إعادة الجار بقراءة جماعة من القراء منهم ابن مسعود ، وقتادة ، وحمزة ، ويحيى بن وثاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش « **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** » النساء/ ١ بالجر لا بالنصب عطفا على الضمير المجرور .

ومن هذا ما ذهب إليه الكوفيون من أن الاسم الموصول « **أي** » إذا حذف العائد من صلته يكون معربا نحو « **لأكرمنَّ ايهم أفضل** » بالنصب ، وهم يستدلون بورود ذلك على لسان العرب إلى جانب الكتاب الكريم في قوله تعالى : « **ثم لننزعن من كل شيعة أيهَّم أشد على الرحمن عتيا** » مريم/ ٦٩ وهي قراءة جماعة من القراء منهم معاذ الهراء العالم النحوي وهو من الطبقة الأولى من نحاة الكوفة .

وكذلك يذهب هؤلاء الكوفيون إلى أنه إذا وجد بعد الفعل المبنى لما لم يسم فاعله مفعول به ، ومصدر ، أو ظرف ، أو جار ومجرور لا يتعين إقامة المفعول به مقام الفاعل كما يقول البصريون ، بل يجوز إقامة غيره وهو موجود ، ويستدلون لذلك بقراءة ابي جعفر (من القراء العشرة) : « **ليجزي قوما بما كانوا يكسبون** »الجاثية/ ١٤ ببناء الفعل « **يجزي** » للمفعول .

ويذهبون ايضا إلى جواز وقوع الفعل الماضي حالا ولو لم يكن مسبوقا بالحرف قد ـ خلافا للبصريين ـ ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى : « **أو جاءوكم حصرت صدورهم** » النساء/ ٩٠ فحصرت فعل ماض ، وهو في موضع الحال ، وتقديره « **حصرةً صدورهم** » ، وهي قراءة الحسن البصري ، ويعقوب الحضرمي ، والمفضل الضبي عن عاصم .

ومن وجوه اعتمادهم ـ إلى جانب ما سبق ـ على القراءات والقراء في الاستدلال ما ذهبوا إليه من أن النصب واجب في الصفة إذا كرر الظرف التام وهو خبر المبتدأ مثل « في الدار محمد قائما فيها » فقد احتجوا

لذلك بقوله تعالى : « **وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها** » هود/١٠٨ فقوله تعالى « **خالدين** » منصوب على الحال ، ولا يجوز غيره . ومثله قوله سبحانه : « **فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها** » الحشر/١٧ .

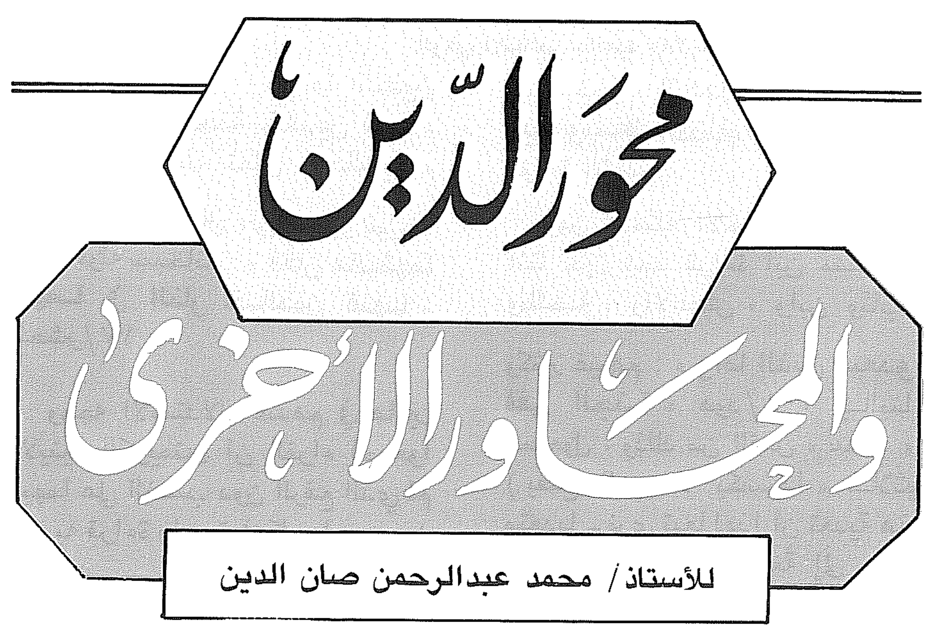
ووجه الاستدلال عندهم في هاتين الآيتين الكريمتين ان القراء أجمعوا فيهما على النصب دون الرفع الذي لم ترد به قراءة واحدة في كل ما روى من قراءات .

ومما يدخل في إطار هذا المنهج أنهم أجروا « **ثم** » مجرى الفاء والواو في جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط مستدلين بقراءة الحسن : « **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت** .. » النساء/ ١٠٠ بنصب (يدركه) .

ومن مظاهر مدهبهم هذا في اعتمادهم على النصوص ، ولا سيما النصوص القرآنية في الاستشهاد ـ مضافا إلى المظاهر السابقة ـ أن الواو قد تستعمل عندهم ناصبة للمضارع في جواب النفي أو الطلب مثل : « .. **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » ال عمران/ ١٤٢ « **يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** » الانعام/ ٢٧ كما تكون الواو عندهم « واو الصرف » ومعناها ان الفعل كان يقتضى إعرابا معينا ، فتصرفه هذه الواو عن هذا الاعراب إلى النصب ، وذلك نحو « **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » البقرة/ ٣٠ في قراءة النصب .

ومن الأمثلة الاخرى لهذا التأثر اننا حين نجد قراءة ابن مسعود ، وطلحة ، والأعمش ، وابن وثاب ، وكثير غيرهم : « **وأما الذين سعدوا ففي الجنة** » هود/١٠٨ بالبناء للمفعول ، وذلك من الفعل « **سعد** » (بفتح العين لا بكسرها) ثلاثيا متعديا ـ نرى تبعا لهذا أن تعدية هذا الفعل « سعده » في اللغة إلى جانب « أسعده » لم تكن أمرا خافيا على بيئة النحو واللغة بالكوفة ، فهي ـ كما قلنا ـ من أشد البيئات اللغوية اعتمادا على القراءات بعامة وتأسيا بقراءة ابن مسعود بخاصة . وها هو ذا الفراء الكوفي يحكي ان هذيلا (قبيلة ابن مسعود) تقول « سعده الله » بمعنى أسعده . ثم إن الكسائي ، وهو أحد القراء السبعة ، ورأس مدرسة الكوفة النحوية كان يقرأ هذه القراءة ، وكان علي بن سليمان الأخفش الأصغر يتعجب ـ في غير حق ـ من قراءة الكسائي مع علمه بالعربية ، وينكر أبو حيان على الأخفش هذا التعجب الذي ليس له ما يبرره ما دامت هذه القراءة مردها إلى ابن مسعود ، وتلاميذه الكوفيين .

وهكذا نجد أثر ابن مسعود في مدرسة الكوفة واضحا لا يحتاج إلى بيان .



للأستاذ/ محمد عبدالرحمن صان الدين

كل كائن في الوجود ـ ظاهر أو خفي ، محسوس أو غير محسوس ، كبر أو صغر ـ يتحرك ويدور حول محور ثابت راسخ ـ بالنسبة له ـ ينجذب اليه ، ويحكم بقوانينه ، فلا ينفك عنه ولا ينفصل ، ومنه يكتسب بعض صفاته وخصائصه ، وبه تتشكل وتستقر طبيعته بل ويستمد حياته وبقاءه ، عاملا فعالا كيفما كان العمل والفعل ، فإذا انفك وانفصل عن محوره ـ بأي سبب ـ اختل توازنه ، واضطربت حركته ، وانطلق هائما كالمجنون بلا عقل يهديه ، أو زمام يكبح جماحه ، ويرده عن مواطن الخطر والهلاك فيصطدم بغيره من كائنات ، فيحطم ويتحطم . هذا واقع الطبيعة ومنطقها بما فيها الانسان بكل مميزاته ومواهبه ، فكل أمة (جماعة) من الناس تدور في فلك قطب أو محور ارتضته واقتنعت به ـ حسب عقلها وميولها ـ بصرف النظر عن صحته وفساده ، وحكمته وخطله ، ونفعه أو ضرره ، فهي تتكيف بمناخه ، وتتحرك بموحياته ، وتفكر به وله .

وأثبت المحاور الانسانية وارسخها ، وأقواها جذبا وأعمقها جذورا وأدقها تنظيما وتنسيقا هو محور الدين اما ما ابتدعه ويبتدعه العقل البشري ـ مهما بلغ من الفطنة والنضج والاحكام ـ من نظم وعقائد ومذاهب ، فإنه لا يسمى دينا وإنما هو نحل ودعاوى فيها ما في الانسان من قصور ونقص ، فلا تستطيع ان تغوص الى أعماق الانسان ، وتلمس طبيعة تكوينه من كل جوانبها ، فتشرع له ما يفي بحاجته ، ويضبط في الحياة حركته ، ألا ترى ـ ايها القارىء الكريم ـ أن كل النظم

والقوانين التي تمخض عنها العقل في مختلف العصور والأزمان عجزت عن أن تمنح السعادة للانسان ، وعن ان ترتقي به في فكره ووجدانه وسلوكه الى المستوى اللائق به كأكرم وأعظم مخلوق في الوجود ، وإن بلغ شأوا بعيدا في اكتشاف أسرار الطبيعة ، واستخدام طاقاتها في أغراضه استخدام رشد أو سفه .

أقول : كل محور غير محور الدين هراء ، وافتراء على الحقيقة ، وانطلاق في مجاهل التيه والشقاء مهما تزينت وبدت مغرية جذابة .

وحينما يتمرد الانسان على الدين ، ويبتعد عن محوره ، لخلل يعترى ميزان عقله ونزوة تعصف بوجدانه ، فإنه ينجذب الى محاور السراب البراقة الخادعة - يحسبها ماء فيه ريه ، حتى اذا جاءها لم يجدها شيئا ، بل يجد عندها الشقاء المقيم وعذاب الجحيم ، فيفر منها - إن استطاع - عائدا الى محور الدين الذي تمرد عليه بعد أن يكون قد أفنى شبابه ، وبدد طاقاته ، وأصبح حطاما يجرع كئوس الحسرة والندم .

وكم من "أجيال في الغابر والحاضر تهاوت على تلك النحل الشاردة الجانحة المتصادمة كالفراش الأحمق فاحترقت ، ولم يبق منها ولا من النحل إلا الرماد الذي تذروه الرياح ، فتقذى به العيون ، وتختنق الأنفاس .

ان المحاور العقلانية ماهي إلا نتاج لأوهام الغرور والنزغ الشيطاني في الانسان المريض بالعقد والاختلال ، ولا يدور في فلكها إلا ضائع مخبول أو سقيم متبول ، وأية أفكار وأية فلسفة يمكن ان تحقق للبشرية جمعاء - على اختلاف طبائعها - مطالبها الحقيقية التي تقتضيها طبيعتها وفطرتها ومصلحتها العاجلة والآجلة . أهي الماركسية المادية العرجاء أم الوجودية الفوضوية الهستيرية أم القاديانية البهائية صنيعتا الاستعمار والصهيونية أم الماسونية اليهودية وفروعها وغيرها مما يطفو على السطح حينا ، ويختفي تحته حينا ، وهل هي المجوسية او البوذية او الهندوكية أو ... أو ... إنها كلها نتاج عقول ناقصة ، والناتج عن الناقص ناقص ان لم يكن فاسدا أصلا وفرعا ، وظاهرا وباطنا ، وهل يصلح العقل المجرد ان يكون مرشدا الى عقيدة صحيحة ، او مصدرا لنظام شامل ، وقانون عام يسوس البشرية ، ويقودها الى شاطىء السلامة والأمان ؟ وهو الذي استساغ العبادة والسجود للكواكب والبحار والأنهار ، والحيوان والأشجار ، والبشر والحجر والريح والنار ، وما زال في القرن العشرين من يمارس طقوس تلك العقائد

أي عقل ذلك الذي يتشدق به فريق من المفتونين ؟ أهو الذي يستخدم معطيات العلم لقتل الحياة فوق الارض ، ويضع القوانين التي تبيح الشذوذ الجنسي الذي يأباه حتى الحيوان الأعجم ، والذي جلب للانسانية الداء العضال وأبشع الأهوال . أم هو الذي يستحل دماء الشعوب ويحتكر مواردها ونعمة العيش فيها فتموت جوعا وعريا ومرضا ، ليعيش قلة في بذخ جنوني

وعربدة سفهاء ؟!

هل هذا هو الذي يسلم له قياد العباد .

بدلا من شرائع الدين وقوانين رب العالمين !

لقد جرّب الانسان في تاريخه المديد - الدساتير والنظم والعقائد العقلانية فلم تحقق له أدنى حظ من الطمأنينة والسكينة والاستقرار والاستمرار ، ذلك لأنها من صنعه هو، خاضعة للهوى والتغيير والتبديل ، والمحو والاثبات كلما تراءى له ذلك وكلما ظهر فسادها وخللها عند التطبيق العملي ،

ان العقلانيين - لو سلمت عقيدتهم ، وحسنت نياتهم - يحمّلون العقل فوق ما يحتمل ، ويخرجون به عن فلكه وحيزه ، فيضرب في متاهات ، ويضل في غياهب ، والا فلم اختلفت المعايير ، وتفاوتت الموازين ، وتصادمت الافكار ؟

أما قوانين الدين ومبادئه ، فإنها ربانية صادرة من حكيم خبير عالم بالأسرار الكامنة في أغوار الانسان المجهولة والتي لا يعلمها إلا هو ، ومن ثم تكتسب جلالها وقدسيتها وحصانتها ، فلا يجرؤ على المساس بها إلا كل مارق أو مخبول ، وبذلك تتمتع بصفة الاستقرار والدوام اللازمين لارساء قواعد الوعي والسلوك في المجتمع والثقة والاطمئنان على الحاضر والمستقبل دون تهديد بالتغيير والتبديل من النقيض الى النقيض كما يحدث دائما في قوانين الانسان .

ان الدين ضروري للانسان وسلامته ، فهو الذي يقيم في داخله ، وطيّ ذاته وازعا يقظا ، قوي السلطان ، نافذ الأحكام ، يعصمه من الخطأ والشطط ، فالمتدين ليس في حاجة إلى زاجر أو رقيب من خارج ذاته - في الأعم الأغلب - يلزمه طريق الجادة إن ارتكس شعوره ، أو جنح به فكره في لحظة من لحظات الضعف البشري ، فسرعان ما ينتبه ، ويصحو ، من قبل أن يقع في المحظور « **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** » آية/٢٠١ من سورة الأعراف .

وفي شرع الدين وقوانينه المقدسة ، الزواجر والحدود الرادعة الكفيلة بإيقاف الجانح عند حده ، ورد الشارد الى سربه وحظيرته ، والمرء إزاء أحكامه يقف خاضعا مستسلما عن رضا وقناعة ، ولو كانت تلك الأحكام صارمة مدمية ، لأنه يؤمن بأنها تطهير له وتكفير ، وتزكية تنجيه من عذاب الله يوم يأتيه عاجلا أو آجلا ، وبذلك يسلم المجتمع ويأمن في غدوه ورواحه ، وتزدهر الحياة .

ان الأمة التي تتحلل من قيود الدين ، وتنفصل عن محوره ، وتنأى عنه - عن قصد أو جهل يشقى فيها الحاكم قبل المحكوم ، حيث يعصف

الشك والريب بالنفوس ، ويرحل الاطمئنان ويتفشى الشر والعدوان ،

ونظرة عابرة او فاحصة في داخل الأمم التي تفخر بأنها انفصلت عن الدين او فصلت الدين عن الدولة ، وأنها تحكم بدساتير وقوانين من وضع الانسان تجد ان الأمن فيها ضائع ، والاستقرار مفقود ، والروابط منحلة ، وما حوادث (شيكاغو) وغيرها ـ في أقوى الأمم وأرقاها ـ بخافية أو مجهولة .

ليت الأجيال الحاضرة والقادمة تقرأ التاريخ والسير بإمعان ، وتتأمل في وقائع الحاضر لتأخذ منها العبر والعظات النافعة التي تنير أمامها طريق الحياة السليمة السعيدة ورحم الله عهود الاسلام التي كان يحكمها الوازع الديني ، فمن ذا الذي لم يقرأ او يسمع قصة المرأة الغامدية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام : لقد ارتكبت ـ في ساعة من ساعات الضعف البشري ـ جريمة الزنا ـ دون ان يراها او يعلم بها احد ـ فلما استردت يقينها ، وصحا الوازع في نفسها ذهبت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرت واعترفت بجرمها طائعة مختارة ، وفي إصرار وتأكيد مع علمها بأن عقابها الرجم حتى الموت ـ فقد كانت محصنة ، إنها أرادت ان تكفر عن جريمتها فلم تجد إلا نفسها تجود بها عن طيب خاطر ، لتذهب إلى ربها نقية طاهرة طارحة الدنيا بما ومن فيها وراء ظهرها ، إنه الوازع والوجدان الدينيان .

ذلك هو الدين وأثره في الانسان ، والاسلام الحنيف قد عنى أشد العناية بالوازع الديني ، لاهميته وخطره ، وتعهده بالغذاء والري ليبقى حيا ناضرا مترعرعا في كيان المسلم ، ووضع لذلك أحكم المبادىء ، ومختلف الأساليب وقواعد التربية

وحينما فطن الملاحدة من كل دين ونحلة ، وأدرك أهل الزيغ والموتورون والطامعون في الشرق والغرب ، وأصحاب الفلسفات العقلية الشاردة ، ومن نهج نهجهم من المتفلسفين والمقلدين ، حينما أدرك هؤلاء ما في الدين من قوة وتأثير في معتنقيه ، شنوا عليه حربا شعواء لاهوادة فيها ، ولا لين ، وكانت الحملة الضاغنة ، والهجمة الضارية على الدين الاسلامي؛ الدين الوحيد الذي لا يزال على أصالته كما نزل وسيبقى ـ إن شاء الله كذلك ، ولانه أقوى الأديان سلطانا ، وأكثرها جذبا وتأثيرا في النفوس والعقول ، وأشملها وأوفاها لحاجات الانسان في كل العصور ، ذلك لأن قطب محوره ثابت راسخ مصون وينبوعه الذي يستمد منه حيويته ونضارته متدفق موصول لا يجف ولا يغيض ، انه قرآن كريم في كتاب مكنون « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** » آية ٤٢ من سورة فصلت ، « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » آية/ ٩ من سورة الحجر .

ومن العجيب أن الالحاد أيا كان نوعه وموقعه ولونه ، ومهما كان

متضاربا متناقضا فإنه يتلاقى ويتألف ، لتحقيق هدف واحد ألا وهو تحطيم الاسلام والقضاء عليه بكل وسيلة شيطانية أو وحشية في السر والعلن ، وبأساليب في غاية المكر والدهاء والخديعة : منها الشعارات البراقة ، والمال، والفاتنات من النساء ، والمناصب ، والحاجة الملحة إلى الطعام والدواء ، والثقافة - المسموحة ، وغير ذلك مما يؤلف طعما يبدو حلوا شهيا لتتهاوى عليه - في شباك الرق والعبودية - القطعان الجائعة المريضة أو البلهاء الجاهلة ، ولا تستفيق الا وهي مكبلة مشلولة الارادة ، ولن يشفع لها عنده فيما بعد انها خلعت ثيابها لتلبس ثيابه ، وانفصلت عن محورها الى محوره ، بل هو الشقاء الأبدي ، والذل المقيم .

ولما كان الاسلام هو حصن الأمان ، ودرع الوقاية لمن هم في كنفه يستظلون بمظلته ويعتصمون به ، ولما كان الطود الأشم الذي تتحطم عليه الأمواج ، وترتد عنه الأنواء كانت السهام موجهة إليه في غيظ وحقد ، وبلا كلل أو ملل ، ولكنه بقدرة الله سيظل ثابتا راسخا لا تنال منه الرياح العاتية الا بقدر ما تنال من الجبل من حبات الرمال الرخوة المنفكة عنه ، وما تلك الرمال المنجرفة الا جهلة المسلمين ، وضعاف اليقين ومن لا خير فيهم ولا غنى بهم ، والاسلام ينفي خبثه . حفظ الله الاسلام ، ووقى المسلمين سوء المنقلب .

تقدم

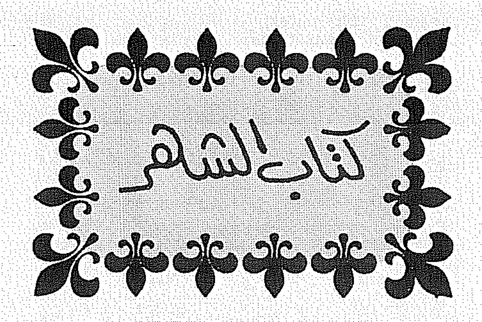
قيل ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي ، وخلفه اربعمائة من العلماء والفضلاء واياس يقدمهم .

فقال المهدي : اما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث .

ثم التفت اليه وقال : كم سنك يا فتى ؟

فقال سني - اطال الله بقاء الامير - سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم - جيشا فيهم ابو بكر وعمر .

فقال له : تقدم بارك الله فيك .





لحجة الاسلام الامام الغزالي

للاستاذ/ الاحمدي عبدالقصود

ألّف الغزالي « منقذه » وقد أربت سنه على الخمسين ، وقبل انطفاء نور حياته بقليل . وفي ذلك الكتاب سجل الغزالي اعترافاته التحليلية وروى قصة حياته الفكرية والروحية ، وسترى الظروف التي دفعته الى ذلك كما رواها بنفسه ، وسيكون ذلك درسا أبلغ به من درس !

* لماذا ألف الغزالي منقذه ؟ *

« أما بعد ، فقد سألتني أيها الأخ في الدين ... »

تلك هي العبارة التي ابتدأ بها الغزالي اعترافاته في كتابه الخالد « المنقذ من الضلال » .. فماذا سأله أخوه في الدين ؟

« ان يبث اليه غاية العلوم واسرارها .. وغائلة المذاهب واغوارها » « واحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق » . « وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار » « وما استفدته أولا من علم الكلام » ... « وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام » .. « وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف » .. « وما ارتضيته اخيرا من طرق التصوف » ..

« وما انحل لي في تضاعيف تفتيشي عن اقاويل الخلق من لباب الحق » .. وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع

كثرة الطالبة » .. « وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول هذه المدة » .. بذلك يتضح لنا لماذا الف الغزالي كتابه « المنقذ » ردا على ما سأله إياه اخوه في الدين ، فجاء المنقذ تبيانا وتفصيلا لكل ما أوردناه بنصه .
فالغزالي يحدثنا بأن اخاه في الدين يسأله عن أشياء ، فيبتدر لاجابته لأنه عرف فيه صدق الرغبة « فابتدرت لاجابتك الى مطالبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك » .

ولكن ثم من يشك في ذلك السبب الذي أبداه الغزالي . فالدكتور عبدالدايم أبو العطا البقري يقف هنا وقفة المتشكك ، ولايطمئن لماقاله حجة الاسلام عن نفسه ! فيقول في كتابه « اعترافات الغزالي » ما نصه :

« وسواء أسأله حقيقة أخ له في الدين حكاية ماقاساه في استخلاص الحق ... أم افترض هو أن هناك سائلا قد سأل هذا السؤال ، فهذا فضلا عن أنه عرض للفكرة التي يحتويها الكتاب مرتبة كترتيب الكتاب نفسه ، فهو على كل حال يدل على أن تطوره الفكري وسيره العلمي ، فيه بعض الغموض الذي يحتاج الى شيء من التصويب والايضاح .. والواقع أن هذه الحادثة ، حادثة رجوعه الى التدريس بنيسابور ـ وهي آخر الحوادث التي سجلها في المنقذ ـ كانت هي السبب المباشر لكتابة المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال » .

ولست أدري كيف جعل الاستاذ البقري حادثة رجوع الغزالي للتدريس بنيسابور هي علة تأليف المنقذ ؟! فهو لم يكتف بأن يجعل ذلك الاخ في الدين محض افتراض أتى به الغزالي ، بل أبى إلا أن يجعل الغزالي مغرضا في تأريخ نفسه ـ أي غير مخلص ـ ! وهذا شطط كبير وتجن على ذلك العالم الفذ ، حجة الاسلام . فهو ليس في حاجة الى ذلك الافتراض ليؤرخ نفسه ، فتراه يقول : « بعد الوقوف على صدق رغبتك » ولايكون هو صادقا مع نفسه فيما يحدث به ، وكان مستطيعا الوصول الى غرضه دون ذلك الافتراض الوهمي الذي لايكسبه شيئا ، بل يجعله غير صادق مع نفسه في استهلاك اعترافاته !

اما عن قول الدكتور البقري بأن السؤال الذي يجيب عنه الغزالي عبارة عن « عرض للفكرة التي يحتويها الكتاب مرتبة كترتيب الكتاب نفسه » أى أن ذلك مما يقوي الظن بأن هذا السائل وهمي ، فالعكس هو الصحيح ، إذ إن الغزالي لم يؤلف كتابه ثم جعل هذا السؤال الوهمي ثبوتيا وعرضا لفكر الكتاب ـ وما كان أغناه عن ذلك التحايل بأن يلجأ الى الفهرست لو أراد ـ بل رتب كتابه وقسمه هذا التقسيم وفقا للسؤال الذي سأله إياه أخوه في الدين .
فالكتاب إنما سار على نقط السؤال حتى استوفاها . لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وليس السؤال هو الذي أحصى ما في الكتاب وجاء كما

يقول الاستاذ عرضا للفكرة التي يحتويها الكتاب مرتبة كترتيب الكتاب نفسه !

اما عن جعل رجوع الغزالي للتدريس بنيسابور، هو وحده السبب الرئيسي لتأليف المنقذ، فهو قول لا دليل عليه. تأبى هذا الرأي سيرة الامام الفذ، وتأباه أيضا حوادث المنقذ ذاتها.

إذاً كان الغزالي «مخلصاً» حين ألف منقذه، و«صادقا» حين حدثنا بالسبب.

* الغزالي يطلب العلم اليقيني *

«وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه، ومستوفقا منه وملتجئا اليه ..»

بذلك الاستفتاح القوي الصادق، يبدأ الغزالي درسه «... اعلموا أحسن الله تعالى إرشادكم، وألان للحق قيادكم ... الخ».

هنا يلقى الغزالي نظرته الفاحصة على هذا الكون العجيب الحافل ويرى الناس مختلفين أديانا ومللا حتى الامة الواحدة، ذهبت فيها الفرق مذاهب.

تباينت الطرق، والبحر عميق «غرق فيه الاكثرون، وما نجا منه الا الأقلون» وقد زعم كل فريق أنه على شيء«وكل حزب بما لديهم فرحون»

لقد تنبأ سيد المرسلين لأمته بهذا الاختلاف يوما. «ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة، الناجية ملتها واحدة».

عرف الغزالي هذا وسلم بأنه قد «كان ماوعد ان يكون». فهل يرضى لنفسه احدى الفرق الثلاث والسبعين، علها تكون الناجية، وما يدريه إن اختار؟ هولم يتخذ عند الله عهدا، وهو لا يقول على الله ما لايعلم.

إنه منذ عنفوان شبابه، منذ راهق البلوغ، ولما تبلغ العشرين سنه حتى اصبح وقد اوفى على الخمسين ـ وهي سنه إذ كتب منقذه تقريبا ـ يلتمس الحقيقة، آنسا في نفسه رشدا، فهو يقتحم «لجة هذا البحر العميق»

ويخوض «غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور» ولكن الطريق غير معبد، فيه ظلام، وفيه مشكلات. ولكن من راض نفسه على طلب الحقيقة، فليس له الى النكوص من سبيل. فهو يتوغل في كل مظلمة، ويقتحم كل ورطة، غير هياب ولا وجل.

إنه علم من نوع آخر إذاً، ذلك الذي راح يطلبه الغزالي، فهو يطلب العلم اليقيني.

ـ وما العلم اليقيني ؟
ـ «هو الذي تنكشف فيه العلوم انكشافا، لا يبقى معه ريب، ولا يقاربه إمكان الغلط والوهم، ولايتسع

القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة . ذلك هو العلم اليقيني كما عرفه الغزالي واراده ، فراح ينشده .

اما كل ما لايعلمه الغزالي على ذلك الوجه ، ولايتيقنه هذا النوع من التيقن « فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا امان معه ، فليس بعلم يقيني » .

العلم اليقيني وكيف هدى الله الغزالي طريقه ؟!

وقف الغزالي حائرا ، يقلب أنظاره في سماء المعرفة ، وكواكب العلوم تترى أمامه ما يكاد يبزغ كوكب منها ، حتى يأفل . ان مراده العلم اليقيني ، وذاك ما بزغ بعد كوكبه .. وهناك بعيدا رأى كوكبا بازغا ظنه أربه .

على كوكبه هذا هاديه العلم اليقيني ! .. فالغزالي لايجد ما يصح ان يكون هاديه للعلم اليقيني ، الا الحسيات والضروريات .

« فقلت الآن بعد حصول اليأس : لامطمع في اقتباس المشكلات إلا من الجليات وهي الحسيات والضروريات » .

وشكك الغزالي نفسه في المحسوسات ، وطال به التشكك واخيرا يصل الى قرار : « لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات ايضا » .

ولذاك عنده سبب . أن حاسة البصر هي اقوى ما في المحسوسات فإذا اطمأن الغزالي اليها ، فربما استطاع ان يركن بعض الشيء الى ما تقوله هذه المحسوسات ، بادئا بأقوى ما فيها - حاسة البصر - ثم يتمشى بعد ذلك مع باقيها .

وأخذ الغزالي يزداد شكا وحيرة . فقد شك في المحسوسات ، وشككته تلك في المعقولات .. بعد ذلك بدأ الغزالي بعلم الكلام ، وثنى بطريق الفلسفة وثلث بتعليمات الباطنية ، وختم بطريق الصوفية .

* ماذكره الغزالي في علم الكلام مقصوده وحاصله *

« ثم إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته » .

طالع الغزالي كتب المتقدمين المحققين في ذلك العلم ، ولم يكتف بذلك بل صنف فيه ما اراد . وكان حكمه فيه .. « فصادفته علما وافيا بمقصوده ، غير واف بمقصودي »

فما هو مقصود علم الكلام ، وما هو مقصود الغزالي ؟ ولم اختلف المقصدان ؟

مقصود علم الكلام هو حفظ عقائد اهل السنة على اهلها ، وذب تشويش اهل البدعة عنها . فاذا عرفنا بهذا مقصود علم الكلام تساءلنا كيف يختلف مقصود الغزالي عنه ؟ ولكننا نسارع بالقول :

إن الغزالي لايختلف مقصوده عن مقصود علم الكلام ، بل هو غير كاف به ، إذ يريد الغزالي طريقة لنفسه غير ما ارادها المتكلمون . لأن الغزالي رأى أن أكثر خوضهم إنما كان في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذاتهم بلوازم مسلماتهم « وهذا قليل النفع في حق من لايسلم سوى الضروريات شيئا اصلا » .

وعلى ذلك ينصرف الغزالي عن علم الكلام ، ويقول « لم يكن الكلام في حقي كافيا ، ولا لدائي الذي كنت اشكوه شافيا » ... وهكذا نفض الغزالي يديه من علم الكلام ، ليجرب الفلسفة وحظه معها .

* الغزالي والفلسفة *

« ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة »

والغزالي كما رسم لنفسه الطريق ، لن يحكم بفساد علم او صلاحه حتى يساوي أعلم العلماء في أصله ، ثم يزيد عليه .. وقضى الغزالي ما يقرب من عامين مواظبا على التفكر في ذلك العلم بعد ان فهمه ثم قسم الغزالي الفلاسفة ، ووسم كافتهم بالكفر .. والفلاسفة عنده اقسام ثلاثة .

الصنف الاول : الدهريون وهي تلك الطائفة التي جحدت الله منكرة وجوده فليس للعالم عندها من صانع مدبر . وهم يزعمون أن العالم وجد بنفسه ، لا صنعه الله الذي اتقن كل شيء ، خلقه ثم هدى . فالحيوان لم يزل من نطفة ، والنطفة من حيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا . وهؤلاء هم الزنادقة « ما قدروا الله حق قدره »

الصنف الثاني : الطبيعيون ، وهم أولئك الذين طال بحثهم في الطبيعة ، وقد رأوا الله في آياته ، فهم يعترفون بوجوده ، ولكن هؤلاء لكثرة بحثهم في الطبيعة ، ظهر عندهم-لاعتدال المزاج- تأثير عظيم في قوى الحيوان ، فظنوا أن القوة العاقلة في الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم . ثم اذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا ، فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة ، وانكروا الجنة والنار ، والقيامة والحساب ، وهؤلاء أيضا زنادقة ، لأن أصل الايمان هو الايمان بالله وبالرسول واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا باليوم الآخر وإن آمنوا بالله تعالى وبصفاته .

الصنف الثالث : الالهيون ، ويضرب الغزالي لهم مثلا بسقراط ، استاذ افلاطون ، ويؤكد عن افلاطون انه استاذ ارسطاطاليس ،

وارسطاطاليس هو الذي رتب لهم علم المنطق ، وهذب العلوم وانضج لهم ما كان فجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على المصنفين الأولين من الدهرية ، والطبيعية واوردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به غيرهم ، ثم رد أرسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الالهيين ردا لم يقصر فيه ، حتى تبرأ عن جميعهم إلا أنه استبقى أيضا من

رذائل كفرهم بقايا لم يوفق للنزوع منها ، فوجب تكفيره وتكفير متبعيه من متفلسفة الاسلاميين ، كابن سينا والفارابي وأمثالهم . هكذا نرى الغزالي يقسم الفلاسفة ذلك التقسيم الثلاثي رغم كثرة فرقهم ، واختلاف مذاهبهم - على حد قوله - فالقسم الاول والثاني عنده من الغاوين ، بين كافر ومبتدع ، أما القسم الثالث منهم - الالهيون - فقد قسم فلسفة ارسطاطاليس الى ثلاثة اقسام ، أخذ بواحد منها فقط « لا يجب إنكاره اصلا » . ثم قسم علوم الفلاسفة الى ستة اقسام : رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، وإلهية ، وسياسية ، وخلقية .وبين لنا الغزالي مهمة كل علم من ناحية الغرض الذي يطلبه .

* ما ذكره الغزالي في مذهب التعليم وغائلته *

فرغ حجة الاسلام الامام الغزالي من الفلسفة ، ثم انتقل الى التعليمية .. فمن هم التعليمية ؟ وما مبادئهم التعليمية؟، هي تلك الفئة الضالة المضلة التي عم شرها البلاد ،

وتسربت تعاليمها الى كثير من النفوس الضعيفة التي يسهل خداعها بالتعاليم البراقة ، حيث يختفي وراء ذلك البريق الزائف ، الزيغ بكل معناه - ومما زاد في خطر هؤلاء انهم يدعون الاسلام في الظاهر ، أما ما خفي - وما خفي عظيم - فذلك هو الداء الدفين ، الذي لا يطلع عليه الا من آخذ العهد عليهم ، فلا يطلعونه على شيء إلا بعد ان يأخذ على نفسه القسم ، الا يبوح بشيء من ذلك السر الذي سيفضي به اليه . وهنا يجد التعليمي نفسه بعد اخذ القسم عليه ، واطلاعه على سرهم بين نارين : إما مصدقا لتعاليمهم فيضل كما ضلوا ، واما مستنكرا ما يسمعه منهم ، من مخالفة الشرع وأحكامه .

لقد كون الغزالي في هذا المذهب وأهله رأيا خلص له بعد الدراسة . « والحاصل أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم » . وإن الغزالي ليرجع ما انتهت اليه هذه البدعة ، وبلوغها هذه الدرجة من الانتشار ، مع ضعفها الى « سوء نصرة الصديق الجاهل » .

تلك هي المرحلة الثالثة التي قطعها الغزالي في شوطه صوب العلم اليقيني.. وتبقى المرحلة الرابعة والأخيرة ، طريق الصوفية .

* الغزالي وطريق الصوفية *

ثم إني لما فرغت من هذه العلوم ، اقبلت بهمتي على طريق الصوفية » لقد مر الغزالي بوادي الفلاسفة ، وعلم الكلام ، ومذهب اهل التعليم ، فلم يسكن الى واد منها ، يجد فيه شفاء لما في نفسه ، من رغبة جامحة تدفعه الى طلب الحقيقة .

فأقبل الغزالي بهمته على حد تعبيره - على طريق الصوفية . وهنا يعلن ان طريقة هؤلاء إنما تتم بعلم وعمل .

وعلى ذلك وقف الغزالي ينظر ، أمامه طريقان متشعبان : علم وعمل ،

فبأيهما يبدأ ؟ «وكان العلم أيسر علي من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم » .

فطالع كتبهم . قرأ « قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وما ألفه الحارث المحاسبي ، وما أثر عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي من متفرقات ، وغير ذلك كثير ووعي كلام مشايخهم حتى وصل الى الدرجة التي يعلنها في منقذه من أنه أصبح مطلعا على كنه مقاصدهم العلمية » .

ويقول كذلك « وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع » لقد ظهر له أن « أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات » وخلص الغزالي أن الصوفية إنما هم ارباب أحوال لا اصحاب اقوال . وقد حصل من طريقتهم كل ما يمكن تحصيله بطريق العلم ، وبقي « ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك » . وهنا يقرر الغزالي أنه قد حصل معه من العلوم التي مارسها وما سلكه من مسالك في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ماذا « ايمان يقيني بالله تعالى ، وبالنبوة ، وباليوم الآخر » .

وغادر الغزالي بغداد وخرج مهاجرا في سبيل الله ، بعد أن فرق ما كان معه من مال دون أن يدخر شيئا سوى ما ذكره « قدر الكفاف وقوت الأطفال » ثم ادخل الله الغزالي الشام مدخل صدق فأقام بها زهاء سنتين في العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس ، وبتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما حصله من علم الصوفية .

إن ما قدمناه ليس الا قراءة الجزء ألاول من الكتاب الضخم المنقذ من الضلال البالغ عدده اربعة أجزاء للعلامة حجة الاسلام الامام الغزالي رحمه الله . واسأل الله ان يجعلنا ممن آثره واجتباه ، وارشده الى الحق وهداه .

الى المسرفين

سمع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : أن أحد أولاده اتخذ خاتما واشترى له فصًّا بألف درهم ، فكتب إليه يؤنبه ويؤدبه : بلغني أنك اشتريت فصًّا بألف درهم فبعه ، وأشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه : (رحم الله امرأً عرف قدر نفسه) .



للاستاذ / أسامة سعد عبدالله

قابع وحده تحت هجير الشمس ، حيث أشعتها تحرق جسده ، وتزيده تفحما ، المكان أرض فسيحه ، صحراوية الملامح ، ترتدى ثوب الجدب .. يتحسس جسده الصغير كأنه يتأكد من أنه لازال على قيد الحياة ، بالأمس القريب كانت هذه الأرض الجرداء ، ساحلية ، خصبة ، تمتلىء بمختلف ثمار الفواكه والخضروات ، لكن المناخ شق عصا الطاعة ، فأغلقت السماء صنابيرها وامتنع المطر عن الهطول وشيئا فشيئا أجدبت البحيرة العظيمة التي كانت تخترق هذا الساحل لتخرج منها قنوات كثيرة ، متفرعة هنا وهناك ، لتروى كل الأراضي الزراعية ، فجفت الزروع وتشققت الأرض ونفقت الماشية .

تقلصت أحشاء الصبى .. أحس بألم شديد .

لم يعد لدينا خبز .

لم يعد لدينا أى شىء .

تكرر ت العبارتان في كل منزل ، ثم في كل متجر ، حتى أصبحت على كل الألسنة وعندها أيقن الجميع أنهم على حافة الموت جوعا .

على بعد خطوات من الصبى ، يقف مالك الحزين على قدم واحدة ، ساهما بعينيه نحو الأرض ، مطرقا برأسه ، كأ نه يحمل حزنا دفينا ، رفع رأسه للحظة يتأمل أنف الصبى الكبير ، الأفطس ، وعينيه الواسعتين المعروقتين بالدماء ، ثم أطرق ثانية .

في ركن قصى يجلس رجل عجوز على تل صغير ، نحيف الساقين والذراعين



فمه منزوع الأسنان والضروس ، عيناه غائرتان كأنهما تودان أن تختفيا داخل الكرة الرأسية لتمتنع عن مشاهدة ما حولها ، ينتقل بعينيه بين مالك الحزين والصبي الأسود ويبتسم .. ينظر اليه الجميع هنا على أنه قد فقد عقله .. كثيرون من قبله فقدوا عقولهم في هذا المكان .. رعشة يده توشى بقلق مكتوم .

ينظر الصبى إلى طفل رضيع يبكي ويصرخ .. بجانب أمه .. امرأة هزيلة شاحبة ، لا تجد له طعاما سوى ثدييها الضامرين ، تمنحه إياهما ، وما أن يمسك أحدهما بشفتيه حتى يتركه ويعاود الصراخ والبكاء ، فهما كهذه الأرض لا حياة فيهما .

المكان مليء بآلاف الجياع لجأوا الى حدود الدول المجاورة التي لم تكتو بعد بالجفاف .. سكنوا الخيام ، والأكواخ ، على أمل أن تكون خيامهم منفى مؤقتا ، بعدها تأتي السيول ، والأمطار الغزيرة فتمحي هذه الذكريات السوداء ، وتكسح الفيضانات شبح الجوع والموت .

لكن الأمال ترحل بعيدا بعيدا ، فالجفاف شد حزامه حول كل الدول المجاورة رويدا رويدا ، وانقطع عنهم ما كانت تجود به عليهم ، وما عاد شيء يلوح للقلب والعقل سوى تذكر الموت .

ينظر الصغير في صمت أبله الى الوجوه المحتضرة من حوله داخل

الخيام والوجوه الشاردة في الطرقات تنطق بالمرض والهزال ، فالفقر المدقع جعلهم يدورون في هوة سحيقة جبارة .. جعلهم اصدقاء حميمين للمرض ، وأقعدهم المرض عن العمل فازدادوا فقرا ، ثم اشتد عليهم المرض والهزال لأنهم معدمون .

وفي هذه الهوة السحيقة سقطت أمه منذ عامين حيث أصابتها الملاريا ظلت تهذى وتتصبب عرقا وترتعش ، ولم تفلح معها أية وسيلة من وسائل العلاج البدائية ، وكان موت الأم شوكة دامية للأب ظلت تسرى في عروقه مسرى الدم تدمي أحشاءه ، وتفتت فؤاده ، حتى أجهزت عليه ، وبقى الطفل يواجه لطمات القدر القوية المبكرة .

يجلس الصغير شادر الذهن .. تعب من النظر الى الضلوع البارزة ، والعروق المتوترة ، انصرف بعينيه الى مالك الحزين ، يتحدث معه حديثا صامتا .

... ...

... ...

... ...

في هذه اللحظة دوى هتاف كبير من أعماق إحدى الخيام .

أرغفة ساخنة .. رائحة شواء .. لحم مشوى .. هناك .

قبل أن يكمل اشارته كانت عشرات السيقان الهزيلة تعدو الى حيث أشار الشيخ العجوز مازال يبتسم .. عادوا جميعا كالكلاب الضالة ، أعينهم تمتلىء بالقنوط .. لم يكن صاحب الهتاف أول ضحايا التخيلات التي جرها الجوع وشبح الموت عليهم ، فمن قبل كان هناك من يهذى بأنه وجد رجالا عمالقة ينهشون لحم رجل ، وحيوانات ضخمة تنقض على الأطفال وتلتهمها ، وآخرون صرخوا واستغاثوا من زلازل تهز أرجاء المكان ، وأطلقوا سيقانهم في الصحراء بعيدا ليصبحوا بمنأى عن هذه الزلازل فابتلعتهم الصحراء الجائعة ، وآخرون أصروا على أن هذا المنخفض أصبح نافورة تضخ بالمياه ، وراحوا يخلعون ملابسهم ليستمتعوا بالمياه ، ويملؤون أكفهم بالمياه من أرضها فابتلعوا الرمال .

العجوز يصر على ابتسامته ، ويمعن في تأمل الكون المحيط ، كأنه يجد راحته من عناء الحياة في تأمل ملامح الموت المرتسمة على الوجوه من حوله .

فجأة ارتفع في الفضاء أزيز طائرة تشق طريقها نحو الأرض في إصرار .. هبط منها رجال بيض ، لحاهم حمراء .. هبطت طائرة أخرى .. انفرج بابها عن راهبات يرتدين ثياب الرهبنة البيضاء .. جاءت البعثتان تحملان الطعام والشراب والدواء ، وهناك في بلادها البعيدة مئات الجمعيات الآخرى تتاجر أيضا في الخير ، رافعة شعارات « الأخوة في الإنسانية » ، « الحرب ضد الجوع » .

يتصاعد صوت غليظ .. الطعام .

حشد هائل يضم رجالا ونساء وصبية يتدافعون في شوق جنوني ..

انقسم الحشد على نفسه .. البعض اتجه إلى أصحاب اللحاه الحمراء ، والبعض سار إلى الراهبات .. ارتفع صوت راهبة تطلب من الجميع أن يقفوا صفا واحدا ملتزمين النظام .. يبتسم الرجل العجوز ثم يضحك بشدة .. طلب أصحاب اللحاه الحمراء نفس المطلب .. يضحك العجوز ضحكا صارما .. بقي جالسا في مكانه كأنه لا يريد الطعام .. لمحته احدى الراهبات .. عرفته على الفور .. كان من المجاهدين الثوار .. وقفت أمام التل الذي يجلس عليه .. نظر اليها العجوز .. تذكرها على الفور .. كانت من رعايا الاحتلال .. في الماضي كانت تمتلك مكتبة صغيرة تبيع فيها الأدوات المكتبية .. ذهبت مع الاحتلال ، لكنها عادت مرة أخرى لتتاجر في الفقر والمرض والجوع والجهل .

بادرته قائلة .

— كان لك جسد مهيل !!

— الأطفال عندنا الآن يموتون بعد ولادتهم مباشرة .

— لم لا تذهب لاستلام طعامك ؟؟

— أرسلوا لنا من قبل أرزا مخصصا للخنازير .

— عيناك غائرتان .. أين سوادهما العميق ؟؟!!

— تكلفة صاروخ من بلادكم تكفي لاطعام مليون من أطفالنا .

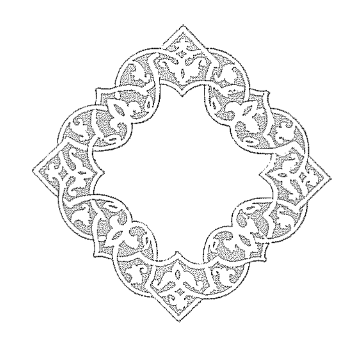
— سينفذ الطعام .

— اضطروا إلى أكل القطط والكلاب .

— معى ثياب جديدة لك .

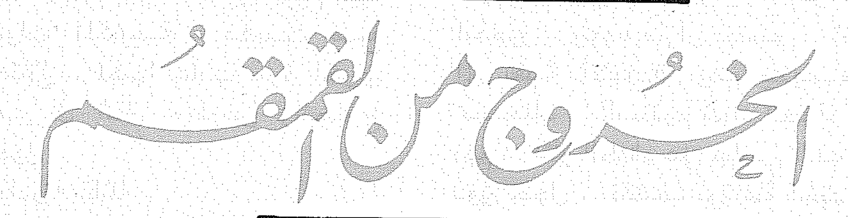
— الأطفال والنساء يرتاعون لمنظر الجرذان .

وقف الصبى أمام الراهبات ، يمسك في يده قدراً من الفخار ، وضعن فيه آخر نصيب من الطعام .. سار به الصبى لخطوات ، ثم سقط منه القدر ، وسال الطعام على الأرض .. انكفأ لينقذ الأمر ، لكن طعامه كان قد اختلط بالثرى في اصرار .. نظر الى العجوز .. وجده مازال يبتسم .. نظر الى بقية الأطفال وهم يلتهمون الصحاف .. ألسنتهم تلوك الطعام في نهم .. آثار الطعام على جانبي الشفاه دون خجل .. تكشف بوقاحة احتدام الجوع داخلهم .. سار بخطوات صامتة .. نظر الى مالك الحزين .. نظر الى مالك الحزين .. وجده مازال يدلى برأسه ، مغمضا عينيه ، ويستسلم لصمت حزين .





تابع المشاهد أبو إسلام أحمد عبد الله



سيناريو غير مرتب من قلب الأرض المحتلة

تبارت وكالات الأنباء في رصد جسارة شباب ثورة المساجد مسلطة الضوء على معالم الصمود والتحدي لمختلف أساليب العنف والارهاب الصهيوني العنصري في الأرض المحتلة ..

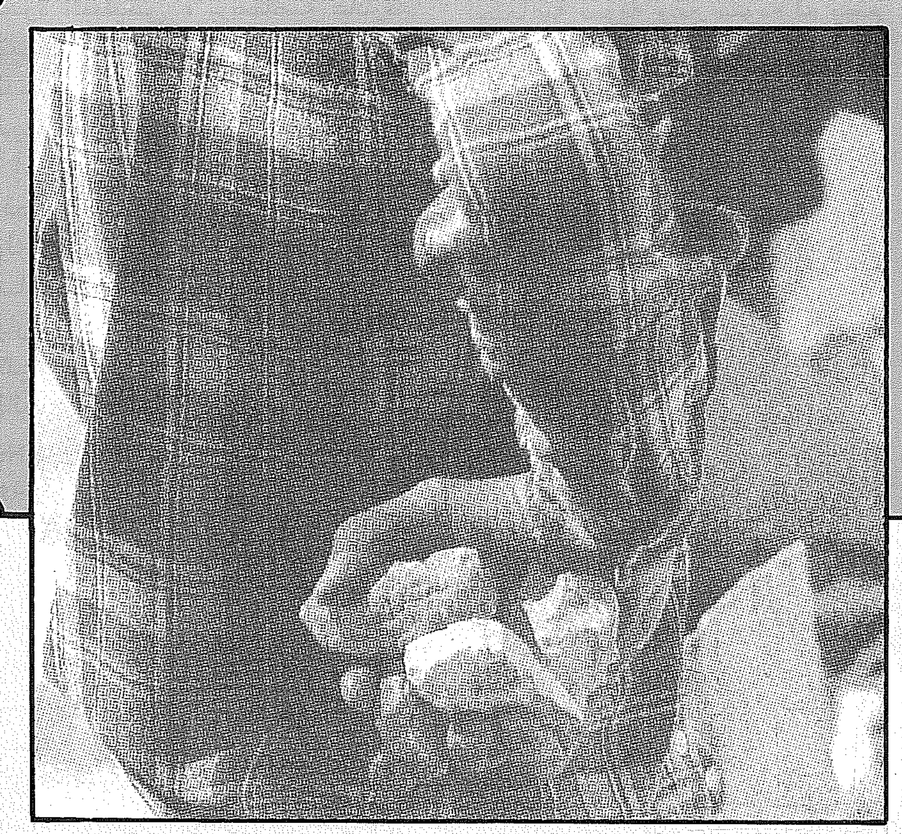
لكن جانبا آخر لم يتحدث عنه الاعلام وسط زحام الأحداث وحصر عدد القتلى ورصيد الحجارة لدى المجاهدين من أجل الدين والأرض ..

كيف يتحدون السلطات ؟ .. كيف يتنقلون من مكان الى مكان ؟ .. كيف سلبت منهم الأرض ؟ .. كيف يعاقبون ؟ كيف يعالجون ؟ ..

عشرات الأسئلة عن جرائم باتت من مسلمات فرض الأمر الواقع ،

فجرتها ثورة المساجد .. لكن أحدا لم يتنبه اليها ، فأجابت عنها مجموعة من

المشاهد المنسية غير المرتبة في أردأ عمل درامي قامت به الصليبية العنصرية في الأرض المقدسة



مداخلة .. بإيقاع سريع

الشهيد عبد السلام « أفتيجة » يسقط أمام أهله في مخيم البريج .. وفي دير البلح تسكن سبع رصاصات متتالية بطن الشاب فايز يوسف أبو قطيفان (١٤ عاما) .. بمدافع الماء والقنابل المسيلة للدموع وتحت ستار من الطائرات المروحية اقتحم اكثر من مائتي صهيوني مستشفى الشفاء بغزة فخطفوا الجرحى وجثث الشهداء ونهبوا ما وصل إلى أيديهم من أجهزة وأدوات ..

في رفح وقف جنود صهيون بالمدافع أمام الجامعة الاسلامية لمنع جنازة الشهيد جمال أبو سهدانه من دخولها حيث تحركت أعنف مظاهرة شهدتها رفح منذ الاحتلال ..

في رام الله والخليل ونابلس تحركت مظاهرات شبابية ونسائية ترفع أعلام فلسطين وتشعل النار في أعلام العدو فتنطلق عليهم الرصاصات تسقط الأجساد وتتلقف الأيادي اليقظة أعلام فلسطين حتى لا تسقط مع الشهداء ..

حجارة كأنها من سجيل تتهاوى على جنود العدو من كل صوب وحدب فتفعل فيهم فعل السحر ..

في حي الشجاعين سقط الشهيد

«ميسرة البطيخي» برصاصة غادرة فكتبوا بدمه الساخن على الحوائط القديمة الباردة : « بالروح بالدم .. نفديك يا فلسطين » ..

إعصار بشري يتحرك من جوف الأقصى ليفك حصارا عسكريا من حوله على بوابات « العامود » و «الساهرة» متجهين نحو ساحة المسجد المبارك حيث كان في انتظارهم طلبة الكلية الرشيدية والكلية الابراهيمية وطالبات المدرسة المأمونية ، هاتفين : «يايهود يايهود .. جيش محمد سوف يعود .. »

المشهد الاول

في عام ١٩٤٨ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اعلانين أولهما يؤكد على أن أساس الحرية والعدل والسلام في العالم هو الاعتراف بالكرامة الانسانية المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية والثابتة ..

طلب الراهب (دانيال) مرددا في ساحة المحكمة : « ان شرط ابطال حق الراهب دانيال لقبوله ديانة أخرى في أن يعتبر يهوديا هو شرط غير دستوري يتنافى مع روح قانون العودة الصهيوني نفسه .. اننا نعرف من هو غير اليهودي .. لكننا لا نعرف من هو اليهودي ؟ » ..

صهاينة .. مع وقف التنفيذ

« بنيامين شاليت » .. ولد في فلسطين .. من أبوين من غلاة اليهود الصهاينة المعروفين .. ولأسباب اجتماعية سوية وغير سوية لم يهتم بنيامين بالدين .. فشب متحررا من طقوس اليهودية ثم سافر الى أنجلترا لاكمال دراسته حيث حصل على الدكتوراه في علم النفس ووظائف الأعضاء ..

وفي انجلترا أعجبته الفتاة النصرانية الشقراء « آن » .. وقضى معها أوقاتا طويلة انتهت بالزواج ، ثم عاد بها الى فلسطين ثانية حيث أدى الخدمة العسكرية في السلاح الجوي الصهيوني بالارض المحتلة .. وقامت «آن » الصليبية بدراسة العبرية وحصلت على درجة علمية عالية من معهد في حيفا يدعى « التكنيون » .. ثم حصلت على الجنسية الاسرائيلية مع احتفاظها بديانتها النصرانية ، رغم أن والديها المتحررين من أسرة اسكتلندية كانا أيضا من غلاة المتحمسين للصهيونية ..

وأنجبت « آن » ولدها الأول ثم الثاني فذهب بنيامين شاليت لتسجيلهما بسجل المواليد حسب البيانات التالية :
الجنسية : يهودي ـ الدين : لا شيء فنظر إليه الموظف المختص في غضب رافضا اعتبار الطفل المولود لأم نصرانية يهوديا وان كانت هذه الأم تحمل الجنسية اليهودية ..

سارع بنيامين رافعا أمره للقضاء .. وأمام المحكمة العليا أبدى إصراره على ارتباط الجنسية بالروابط الاجتماعية معترضا على ارتباطها بالتفسير الديني لأن هذا ظلم لأبنائه وما يأتي من أجيال متسائلا :

« ان القضية ليست قضية تسجيل أبنائي .. إنما هي : من نحن ؟؟ »

وبعد مداولة بين أعضاء هيئة المحكمة أعلنوا أن محكمتهم غير صالحة لنظر الدعوى .. ولخطورة الدعوى ، تم تشكيل هيئة جديدة من تسعة قضاة .. وبعد أربعة عشر شهرا من البحث والدراسة والمداولات ، أصدرت الهيئة حكمها بأغلبية خمسة أعضاء ضد أربعة ، بقيد أبناء بنيامين شاليت يهودا ..

وقالت الهيئة في حيثيات حكمها : «يجب ألا يكون المرء يهودي المذهب أو المعتقد لكي يجرى الاعتراف به كمواطن يهودي من حاملي جنسية الدولة ، .. وان مسألة من هو اليهودي بالنسبة لقانون سجلات المواليد لا علاقة لها بالشرع التلمودي ، بل تقع كلية تحت طائلة القانون العلماني الوضعي .. »

ولم تقبل الأقلية في هيئة المحكمة ماصدر عن الأغلبية حيث انتهوا الى ضرورة نقض الحكم على أنه يستحيل وجود شيء اسمه يهودي على أساس الانتماء القومي وآخر على أساس الانتماء الديني .. وما لم يكن هذا الشخص في الوقت نفسه - يهوديا حسب مبادىء الشرع التلمودي فالجمع بين الشرطين المتلازمين هو ضرورة لا بد منها لكي يكون المرء يهوديا في اسرائيل ..

وانفجرت أزمة عنيفة داخل كيان القطط في الأرض المحتله ، ووقف أحد القضاة معترضا بقوله :

إنه وفقا لتصور الشرع التلمودي فإن قائدا بمنظمة فتح في القدس ينبغي اعتباره يهوديا لو أن أمه يهودية ، في حين أن أولاد ضابط يهودي حارب دفاعا عن اسرائيل ، يعتبرون غير يهود لو أنهم من أم غير يهودية .. والتفكير في مثل هذا الأمر يكفي لجعل المرء يرتعد فزعا ورعبا ..

واحتد الصراع حول صهيونية أبناء بنيامين من عدمها .. وهدد أحد زعماء الحكومة المحتلة بانسحابه إذا لم يصدر تشريع لالغاء حكم المحكمة العليا ..

وعلى الصعيد الدولي احتجت أوساط يهود الشتات المنتمين الى الطائفة الأرثوذكسية المتعصبة .. وأصدر حاخام إيطاليا الأكبر بيانا أعلن فيه أن قرار المحكمة العليا يضر بمركز الحكومة الصهيونية في فلسطين المحتلة ويلحق الأذى بمكانتها .. اذ أن هذا الحكم سوف يشجع على الزواج المختلط ، ويؤدي الى القضاء على النقاء العرقي (المزعوم) للأسرة اليهودية (المشتتة) كما يؤدي الى تصدع صفوف الشعب اليهودي وانعدام التوحد الوجداني بين الشعب اليهودي والحكومة الصهيونية في فلسطين المحتلة ..

وفي جلسة عاصفة للحكومة ، صدرت القرارات التالية :

١ - تسجيل أبناء بنيامين شاليت يهودا ..

٢ - لا يسري هذا الحكم الا على هذه الحالة ولا يسري على حالات الزواج المختلط . (التي بلغ عددها حوالي (١٢) ألف حالة صهيونية تبحث عن هوية لها في سجلات الشعوب والأمم)

الفتاوى

« البسلمة وسورة براءة »

اكثر من سؤال ورد إلى المجلة حول ترك البسملة في سورة براءة ؟

***

والجواب يتلخص في ان العلماء اتفقوا على أن وضع البسملة في أول كل سورة كان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرج الحاكم عن ابن عباس انه قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا جاءه جبريل فقرأ ، بسم الله الرحمن الرحيم علم انها سورة .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود انه قال:كنا لانعلم فصلا بين سورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم .

وقد ورد في عدم ذكرها اول سورة براءة أسباب كثيرة ، أصحها أن عادة العرب قديما كانوا إذا أرادوا نقض عهد بينهم وبين قوم اخرين ، كتبوا لهم كتابا ، ولم يكتبوا فيه البسملة ، فلما نزلت براءة ، وهي تنص على نقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من جانب ، والمشركين من جانب آخر ، بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عليا رضي الله عنه ، فقرأها عليهم في موسم الحج من غير ذكر البسملة جريا على عادتهم في نقض العهد .

جواب آخر . روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : سألت عليا رضي الله عنه ، لم لم تكتب البسملة في اول سورة براءة ؟ فقال : لأن البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان . ومن هنا يتضح سر ترك البسملة في هذه السورة .

« الكفارة المطلوبة »

قارىء طلب نشر الاجابة في المجلة من غير ان يذكر اسمه أو عنوانه قال :

وجبت على الكفارة من أجل محظور ارتكبته عمدا في شهر رمضان ولكني بعد رمضان اصابني مرض ماذا أفعل ؟

**

من المعلوم ان الكفارة شرعت لتكفير الذنب وتطهير المخالف الذي انتهك عامدا حرمة شهر رمضان ، فمن جامع في نهار رمضان عامدا ، أو أكل أو شرب عامدا ، عند كثير من الفقهاء ، وجبت عليه الكفارة بعتق رقبة والعتق لاوجود له الآن ، فتكون الكفارة صيام شهرين متتابعين ، فمن لم يستطع الصيام ، وجب عليه ان يطعم ستين مسكينا ، ويرى جمهور الفقهاء أنه لايصح الانتقال من حالة إلى أخرى ، إلا إذا عجز عنها ، بمعنى لايطعم المكفر إلا إذا عجز عن الصوم ، وإن كان مذهب مالك ورواية عن احمد ، انه مخير بين الصوم والاطعام .

فعلى رأي جمهور الفقهاء يكون البدء بالصيام مدة شهرين متتابعين ، ومن مرض مرضا يرجى الشفاء منه يؤجل الكفارة حتى يبرأ ويقدر على الصوم ، وأما من مرض بمرض لاشفاء منه ، يعتبر عاجزا عن الصيام ، وتنتقل الكفارة إلى الاطعام ، لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يارسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على اهلي في رمضان ، فقال : هل تجد ماتعتق رقبة ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ماتطعم ستين مسكينا ؟ قال : لا ، قال : ثم جلس ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ـ بعرق ـ والعرق مكيال يسع ١٥ صاعا ويقال له « القفة أو المكتل » فيه تمر فقال : تصدق بهذا ، قال الرجل على افقر منا ؟ فما بين لابتيها ـ يعني أطراف المدينة ـ أهل بيت احوج اليه منا ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : اذهب فأطعمه اهلك : رواه الجماعة .

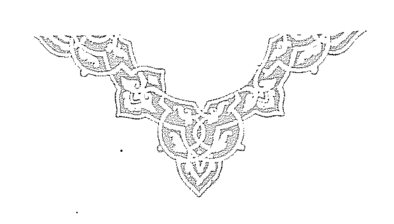
ومن هنا أخذ اكثر الفقهاء الحكم بوجوب الترتيب في الكفارة .

« حول الحج عن الغير »

القارىء محمد جمعة من دمياط بمصر يسأل قائلا : مات أبي قبل أن يحج حجة الفريضة مع قدرته على الحج فهل احج عنه ؟

***

جمهور الفقهاء يرى أن من مات وعليه حجة الاسلام ، وجب على وليه ان يحج عنه أو يجهز من يحج عنه من ماله ، سواء أوصى الميت بالحج أم لم يوص ، لأنه يعتبر دينا يجب على ولي الميت سداده ، فمن المعلوم انه إذا مات الميت يبدأ بتجهيزه وبقضاء ديونه وتنفيذ وصاياه قبل توزيع التركة ، وعلى هذا تجب المبادرة بسداد سائر الحقوق ومنها الديون التي عليه للغير ، والديون المستحقة لله تعالى ، مثل الكفارة والزكاة والنذر ، ويلاحظ أن الحج حق لله يجب الوفاء به ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، ان امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء» . رواه البخاري القول بوجوب الحج عن الميت هو ماعليه اكثر الفقهاء ، سواء أوصى الميت أم لا ، وقال الامام مالك يجب الحج عن الميت إن كان قد اوصى بذلك أما إذا لم يوص بالحج فلايجب الحج عنه لأن الحج عنده عبادة بدنية لاتقبل النيابة ، وإذا أوصى يكون الحج من ثلث التركة ، هذا ويلاحظ ان من يحج عن الغير يكون قد حج عن نفسه سابقا كما يلاحظ ان الميت اذا لم يترك مالا ، لايجب الحج عنه لأنه مات والحج غير واجب عليه لعدم استطاعته .





اذا عزم المسلم على السفر للحج او العمرة وجب عليه ان يفعل ما يأتي :

١ ـ يحث اهله واخوانه وعشيرته على التمسك بتعاليم الاسلام والتزام العمل بكتاب الله وسنة رسوله .

٢ ـ يكتب ما له من الديون وما عليه منها ، حرصا على ضمان حقه وحق الاخرين .

٣ ـ يدون وصيته ، ويستحب ان يوصي بجزء من ماله للفقراء والمساكين .

٤ ـ يبادر الى التوبة ، ويسارع الى رد مظالم الناس ، ويندم على ما بدر منه من تقصير في حق الله سبحانه وتعالى ، لقوله صلى الله عليه وسلم (من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل الا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ... (رواه البخاري) . وفعل ذلك عند ارادة الحج الزم حتى يتخلص من آثامه ويكون حجه مبرورا ..

٥ ـ يختار طيب ماله ليستعين به على مطالب الحج ونفقاته لان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا . روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور ، واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك زادك حرام . ونفقتك حرام . وحجك غير مبرور) .

٦ ـ يقصد بحجه وعمرته وجه الله تعالى لان الله عز وجل لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم . وحسب المؤمن من الحج شعوره انه في ضيافة ربه . يعيش في رحابه . ويلوذ بجنابه ، ويقف في جمع حاشد من المسلمين في جو كله تجرد وايمان وصفاء واخاء ومحبة وسلام ، والله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم : : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) (الاسراء/١٨ ، ١٩) .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (قال الله تعالى : انا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم

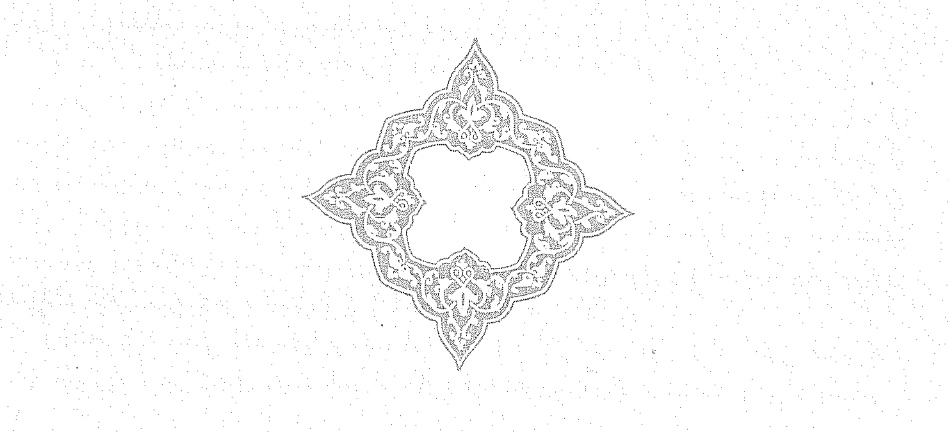
فاذا ركب الحاج دابته او سيارته أو باخرته أو طائرته ندب ان يسمى الله تعالى ويحمده ثم يكبر ثلاثا ويقول : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ، اللهم اني اسألك في سفري هذا البر والتقوى . ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده . اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل ، اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد).

وعليه ان يصون لسانه وعينه وجميع جوارحه عن كل ما يغضب الله تبارك وتعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه). متفق عليه .

اركان الحج :

اركان الحج اربعة : الاحرام ، والوقوف بعرفة . وطواف الافاضة ، والسعي بين الصفا والمروة ـ وزاد الشافعية الحلق أو التقصير ولو بإزالة ثلاث شعرات من الرأس ، وترتيب معظم الاركان الخمسة بأن يقدم الاحرام على الجميع ، والوقوف على طواف الافاضة والحلق ، والطواف على السعي ان لم يفعل السعي عقب طواف القدوم .

أما الحنفية فللحج عندهم ركنان فقط : الوقوف بعرفة ومعظم طواف الافاضة (اربعة اشواط) . وكلهم متفقون على ان ترك ركن من اركان الحج يبطل الحج .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥).

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

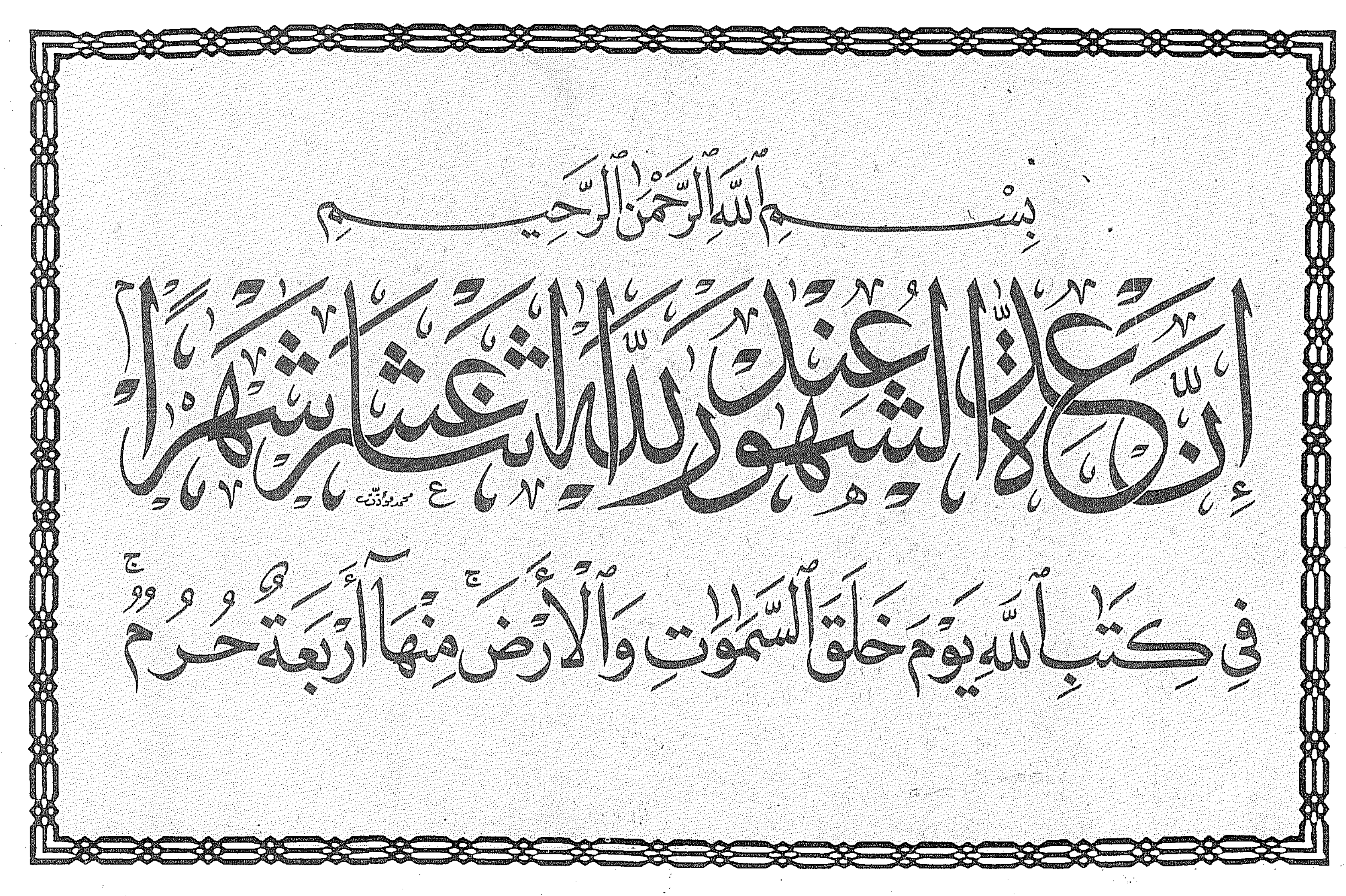
★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت